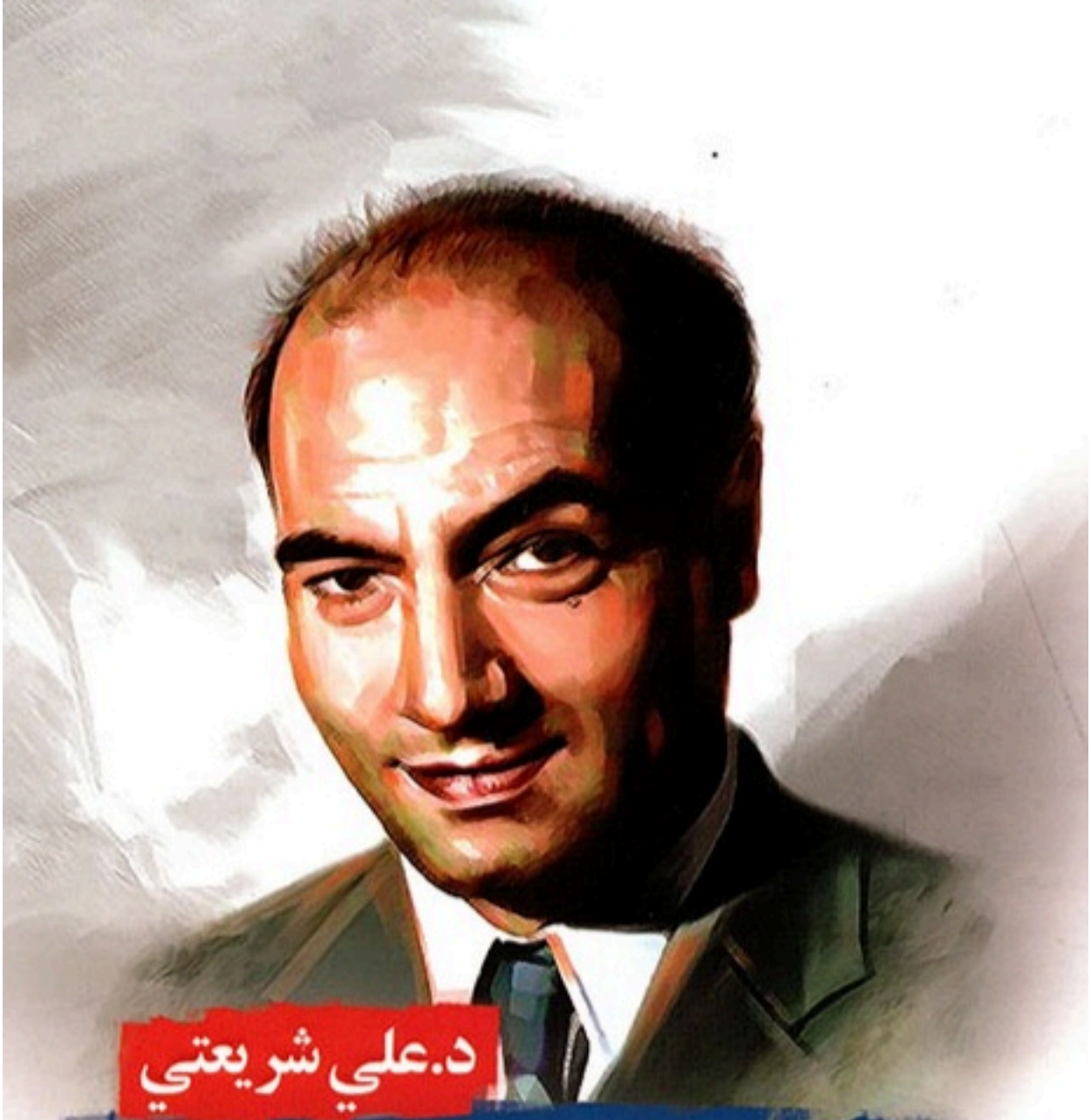

د.علي شريعتي

ماذا علينا أن نفعل؟

ترجمة : حيدر نجف

تقديم : د. احسان علي شريعتي

منشورات الأوكون

أبكالو

ماذا علينا أن نفعل ؟

تأليف
د. علي شريعتي

ترجمة
حيدر نجف

تقديم
د. إحسان شريعتي

ماذا علينا أن نفعل ؟

تأليف

د . علي شريعتي

ترجمة

حيدر نجف

تقديم

د. إحسان شريعتي

الطبعة الأولى: ٢٠١٩

تصميم الغلاف: الهام ذبيحى

جميع الحقوق محفوظة

دار أبكالو

للنشر والتوزيع /ألمانيا - ميونخ

ألمانيا : ٠٠٤٩١٥٧٧١٢٠٣٢٤٧

بغداد : ٠٠٩٦٤٧٨١١٨٩٨٤٦١

Email: Abkallu91@gmail.com

دار لاوكون

للنشر والتوزيع /بغداد - العراق

بغداد : ٠٠٩٦٤٠٧٧٢٥٣٦٨٨٥٠

Email: DARLaocoon@gmail.com

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

مكتبة الرافدين للكتب
الالكترونية
https://t.me/ahn1972

المحتوى

مقدمة بقلم الدكتور إحسان شريعتي ٧

ماذا نفعل؟ ١٣

ما الذي يجب فعله الآن؟ ٥٥
ماذا نفعل إذن؟ ٦٥
الأهداف: ٦٥
كيف؟ ٧٥
عودوا إلى القرآن ٧٥
البرنامج ٨٢

(١) قسم التحقيق والبحث العلمي ٨٥

المسوّغات والأهداف ٨٥
لنفتح باب الاجتهاد ٩٨
المركز ١٠٤
١ ـ مجموعة الدراسات الإسلامية ١٠٥
مجموعة تاريخ الإسلام ١٢٣
مجموعة الثقافة والعلوم الإسلامية ١٢٩
مجموعة العلوم الاجتماعية ١٣١
مجموعة البلدان الإسلامية ١٣٣
الأقليات الإسلامية ١٣٦
مجموعة الأدب والفن ١٣٩
الآداب والفنون الإسلامية ١٥٣
الآداب والفنون الحديثة ١٥٤
النشاطات الفنية ١٥٦
البرامج البحثية ١٥٧
الدراسات الإسلامية ١٥٨
الدراسات الشيعية ١٦١
التاريخ السياسي والاجتماعي ١٦٣

الثورات الإسلامية ١٦٥
عصر النهضة الإسلامي ١٦٦
البدع ١٦٧
المدارس الفلسفية والعرفانية والدينية ١٦٧
تحقيق وتدوين مصادر البحث ومراجعه ١٦٩
الفن الإسلامي ١٧٠
البلدان والمجتمعات الإسلامية ١٧١
أهداف البحوث ومناهجها ١٧١

(٢) التعليم ١٧٣

١ ـ الدراسات الإسلامية ١٧٣
٢ ـ الدراسات القرآنية ١٧٤
٣ ـ إعداد المبلغين وتعليمهم ١٧٤

(٣) التبليغ ١٧٧

(٤) المؤسسات ١٧٩

١ ـ مؤسسة مركز الإحصاء والتوثيق ومصادر البحث ١٧٩
٢ ـ مؤسسة المكتبة الجوّالة ١٨١
٣ ـ مؤسسة المطبعة ١٨٨
٤ ـ مؤسسة دار النشر ١٨٨
٧ ـ مؤسسة الصحافة والمطبوعات ١٨٩
٨ ـ مؤسسة الترجمة ١٨٩
٩ ـ مؤسسة الحج والشعائر الإسلامية ١٨٩

مقدمة

بقلم الدكتور إحسان شريعتي

نجل المرحوم الدكتور علي شريعتي

«على ماذا نعتمد؟»، «من أين نبدأ؟»، «ماذا يجب أن نفعل؟».. ما قصده علي شريعتي من إثارة هذه الأسئلة يتبلور في رسم منهجية لحركة الولادة الحضارية الجديدة – النهضة – على نحو العموم، مشروع مستقبل النقد العقيدي وإعادة التشذيب – رفرماسيون – في «الثقافة الدينية» على وجه الخصوص.

«ماذا يجب أن نفعل؟» في الواقع سؤالٌ «أخلاقي» عام في العصر الحاضر يشدِّد على مسؤولية وضرورة نشاط «المستنيرين». (كما في أواخر القرن الثامن عشر في كتاب كانط المعروف «نقد العقل العملي»). إنه سؤال يطرح على أعتاب كل حالات الثورة وانقطاع الأحداث التاريخية الكبرى (على سبيل المثال في روسيا القيصرية نهاية القرن التاسع عشر في كتاب مؤثر بالعنوان ذاته لمؤلفه تشرنيشفسكي).

يعرف «المستنير» في رؤية شريعتي بوصفه مواصل طريق «الأنبياء» في العصر الحديث. مع أن هذا التعريف يبدو في ظاهره «مثالياً» (جولين بندا

في كتاب «خيانة العلماء») بيد أنه في الحقيقة تعريف «واقعي» («المستنير العضوي» عند غرامشي)، لأنه لا ينظر للرسول ككيان منفصل عن الناس أو كوجود غريب أجنبي عليهم بل كشخص ناهض من صميم شريحة المحرومين وله صلاته العضوية بهم بما يتناسب و«النهضة الذاتية» لتلك الشريحة. ليست رسالة المستنير التحرير بالنيابة عن الجماهير بل نقل التبصّر إليهم للتمكّن من قيادتهم أو عثورهم على مرشدين وهداة من بينهم.

الواجب الأخلاقي لهذا «المستنير – النبي» هو انتهاج نوع من المسار التوعوي.. نوع من التوعية التحريرية. نوع من الوعي لا يكون وعياً من أجل الوعي أو علماً لمجرد التأشير على العلل، بل وعياً ناقداً للواقع القائم وهادٍ إلى التحرر من الهيمنات الثلاث: الاستبداد، الاستغلال، الاستحمار. إنه ذات المثلث «المال، العسف، الزيف» الذي عبّر عنه شريعتي في قاموسه بأشكال وأنماط متعددة.

من جهة ثانية، يبدو أن للدين في تصورات شريعتي وتحليلاته دوراً مركزياً حاسماً في التأثير المباشر على الجماهير وأخلاقهم وسلوكهم العملي بين غيره من العناصر صانعة الثقافة من قبيل اللغة والفن وأسلوب الإنتاج (ومستوى التقانة). يمكن لهذا الدور أن يؤدي إلى «امتناع» وتوقف وانسداد التغيير والتحول، ويمكنه أيضاً أن يكون محفزاً مشجعاً على تحرك الإنسان نحو الانعتاق. من هنا كان «نقد الدين» شرطاً مسبقاً لأيّ نقد آخر من صنوف النقد الاجتماعي والسياسي. «النقد» هنا بمعنى فرز السليم عن السقيم، والصحيح عن الخطأ، والمرن عن المتصلب.

من هنا تستدعي الضرورة العقلانية والواجب العقيدي للمستنير في مجتمع يمثل فيه الدين أكثر العناصر الثقافية حيويةً وفاعليةً، انطلاق نوع من التشذيب الجديد أو الإصلاح النقدي الديني. وقد كانت المعارضة البروتستانتية نوعاً من الدين ضد نوع آخر من الدين، أو هو دين معارض لدين يحاول تبرير الهيمنة ونظام الحكم.

الضرورة المسبقة لتحرر المسلمين من سيطرة الاستعمار القديم والجديد، والاستبداد السياسي والتقليدي، والاستغلال الإقطاعي والبرجوازي، هو إنقاذ الإسلام من سجن الاستحمار القديم أو الرجعية الدينية. هذا التوق للانعتاق ليس ناجماً عن آلام ذهنية أو جهد كلامي وانتزاعي. الإسلام هنا رمز أسير في قبضة تفسير حصري في رواية تقليدية أو أصولية. ويقدم شريعتي بدوره مواصلةً لدرب مؤسسي النهضة الحضارية والإصلاح الديني في العالم الإسلامي، السيد جمال والعلامة إقبال، يقدم مشروعاً كلامياً عقلانياً — نقدياً تحررياً في إطار كيفية مدرسة أرقى.

الكفاح الأساسي للمستنير المسؤول على المستوى العالمي هو تحرير «الحرية» من الهيمنة الإمبريالية — الرأسمالية، وتحرير «العدالة» من سيطرة الشيوعية الحكومية الجزمية، وتحرير «المعنوية» من احتكار سدنة الأديان والمذاهب الرسميين (إنقاذ الله من مقبرة الملالي).

«العودة إلى الذات» مقابل صنوف الاغتراب على الذات — الياسيون — الثقافي، في فكر شريعتي «الديالوجي»، هي السبيل الوحيد لتثمين الآخر وتقديره وفتح باب الحوار معه. في الطيف الديني أيضاً،

«العودة إلى الكتاب» مقابل الهيكلية المتلاعب بها للأخبار والأحاديث والروايات، والعودة إلى التجربة النبوية وينبوع السيرة و«سنة السلف الصالح» كمنهجية واستراتيجية تغيير والتحول الاجتماعي من عنف البداوة أو «جهل» الجاهلية إلى المدنية و«حلم» الإسلام (تحليل غولدصيهر) طريقان سلكهما المصلحون في العالم الإسلامي ضمن إطار الرؤية الكونية التوحيدية. العودة إلى الإسلام النبوي (والتشيع العلوي) السابق، مقابل إسلام الخلافة (والتشيع الصفوي) اللاحق، توفر الظروف والأرضية اللازمة لولادة جديدة — إحياء — وإعادة بناء — إصلاح — وانبثاق نوع آخر من التجربة الدينية العقلانية المدروسة التقدمية المستقبلية الإنسانية الشعبية.

مثل هذه التجربة المعاشة الجديدة لم تعد تولّي وجهها شطر الماضي ولا تعمل لخدمة التاريخ والتراث، بل تريدهما من أجل المستقبل ولحياة الإنسان. وهذا ما يميز شعار «العودة»، لا العودة القهقرائية (كما لدى السفليين والأصوليين)، الذي يرفعه المفكرون الإسلاميون المجددون كرجعة إلى المنابت والينابيع الإيمانية والنصوص والتجارب والمعطيات التاريخية في ضوء المنهج النقدي أو التقييم التشذيبي التعديلي الفاتح لبنى العلوم والمعارف التراثية الدينية والمدرسية.

على أساس كل هذه المقدمات، يمتاز أسلوب «التوعية التحررية» لدى شريعتي في ضوء محصلة نقاط ضعف التجارب الماضية غير الناجحة لرواد هذا الدرب، بخصوصيتين أساسيتين: ١ — التشديد على العمل التأسيسي الفكري وخصوصاً في طيفي علم الوجود أو الرؤية الكونية

(التوحيد) وعلم الإنسان (الفلاح)، ٢ – مخاطبة الجماهير والناس بوصفهم الحملة الأصليين للنهضات التقدمية التائقة للتسامي، في المسيرة من التحرر من أنواع القيود والأسر (الحرية السلبية من السجون) إلى نيل «الحرية» («الحرية الإيجابية» من «المكوث في بيت الذات» إلى الاستقرار والسكينة في النمو المادي والتعالي المعنوي).

تفرز هذه السمات استراتيجية التوعية عند شريعتي عن أنواع من الاستراتيجيات الشكلية «رفرميسم» والجذرية «راديكاليسم» الشائعة. الهدف الاستراتيجي الذي يجب أن تصبّ كل التكتيكات في خدمته ليس إصلاح الأنظمة والحكومات من الأعلى بشكل تدريجي وقانوني وسلمي صرف وليس إسقاطاً فجائياً لحظياً متطرفاً عنيفاً عن طريق ثورات أو انقلابات وحروب داخلية أو خارجية، وإنما «ثورة» أو انقطاع كيفي داخل الضمير والروح والسلوك والعادات في إطار إصلاح الأشكال والبنى والقوالب والقوانين على المدى البعيد.

هذه السمات الذاتية لمنهج شريعتي لم تعرف في مجتمعه إيران على الرغم من التأثير الواسع والإقبال المليوني على أعماله خصوصاً على أعتاب الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ ، لم تعرف معرفة عميقة دقيقة، لذلك شهدنا ونشهد بعض الأحيان حالات من سوء الفهم وقراءات مغلوطة وتوظيفات عكسية متناقضة لأعماله بعيداً عن الفهم الصائب والقراءة العلمية المطلوبة.

ترجمة أعمال شريعتي إلى لغات أخرى ولا سيما للغات قريبة من الفارسية كالعربية توفر للقراء الشباب فرصة لقراءة جديدة في ظل فطرة نقية متحررة من الأحكام المسبقة، كما تفتح الباب لتصورات جديدة مبتكرة مختلفة. مضافاً إلى تمهيدها الطريق لحوار عالمي شامل مستوعب بين مفكري عالم الجنوب والحضارة الإسلامية ودراسات بمنهجيات ما بعد الاستعمارية.. على أمل ذلك.

ماذا نفعل؟

العارفون بالزمان والمطلعون على ماضي الأفكار والثقافات، ولا سيما الأديان الكبرى منها في الحضارة المعاصرة ومسار الحركة الروحية والفكرية للإنسان في هذا الزمن، وأخصّ بالذكر منهم المستنيرين الحقيقين الملتزمين في العالم الشرقي والمجتمعات غير الأوربية، ولا سيما من الشعوب الإسلامية التي كانت أكثر من غيرها ضحية للاستعمار الاقتصادي، والأنكى والأفجع من ذلك الاستعمار الفكري والأخلاقي، هؤلاء يرون ويعلمون كيف يحاول نظامُ الاستغلال وعبادة الاقتصاد الجديد والروح المادية المنحطة وفلسفة أصالة الاستهلاك (الاستهلاك الذي يشكّل دِينَ هذا النظام وأخلاقه) وبأية طرق وأحابيل ومخادعات ومؤامرات لاإنسانية – متسلِّحة بقوى العلم والفلسفة والتقانة والفن والأدب وعلم الاجتماع والتاريخ وعلم النفس وأسلحة الحرب والسلام والسياسة — أن يحوِّل كل بلدان العالم إلى أسواق لبضائعه. ولأجل النجاح في هذه المهمة يجب أن يتحول كلُّ البشر إلى حيوانات مستهلِكة، ويتحتّم على جميع الشعوب والأمم أن تنحر أصالاتها وخصوصياتها المعنوية والروحية والتاريخية والدينية والقومية التي تشكّل شخصيتها واستقلالها، وأن تُصَبَّ البشريةُ كلها في

قوالب وأشكال رتيبة متشابهة وفقاً لنموذج واحد مفروض عنوةً، ليصبحوا كلهم عبيداً تابعين لأجهزة الإنتاج في «الامبراطورية العالمية»، ويصبح كل الناس من شرق العالم إلى غربه، من مسلمين آسيويين وصفر بوذيين ووثنيين أفارقة ومسيحيين في أمريكا اللاتينية، على نمط وشكل واحد وبروح واحدة وحاجات متماثلة واحدة وأسلوب حياة واحد وذوق واحد وتصورات واحدة، ويكونوا مستهلكين رتيبين متنمّطين لنتاجات النظام القاروني العالمي. ولذلك ينبغي أن تنهار على الأرض كلُّ الأبراج وتتهدّم جميع الأسوار وتتحطم كل السدود المنيعة التي بوسعها صدُّ هجمات الناهبين الغربيين، وتُمحى أو تمسخ كافة العناصر التي تمنح المجتمع الإنساني شخصيته الممتازة واستقلاله القويم وتدافع عن قيمه حيال الغارات التي تشنها بربريةُ الحضارةِ المعاصرةِ.

لقد علّمتهم التجربة التاريخية والعلمية والنفسية والاجتماعية أنه من أجل بقاء مجتمع ما عاجزاً عن الإنتاج الاقتصادي وتحويله إلى مستهلِك مطلق أبديّ لنتاجات الآخرين المادية، يجب إبقاؤه قبل ذلك عاجزاً عن الإنتاج الفكري، وجعله مستهلِكاً مطلقاً لنتاجاتهم المعنوية والروحية، ولا بدّ له أن يفقد استقلاله الإنساني حيال العدو. وقد أثبتت التجربة التاريخية أن الدين هو أقوى عامل يمنح المجتمعات الإنسانية تميّزها وتشخّصها وثقتها وإيمانها بنفسها واستقلالها أمامَ الأجانب. وقد وجده الاستعمارُ في هجماته العالمية أكبرَ عقبة أمام نفوذه المعنوي والسياسي بين الأمم

والشعوب، لا سيما الشعوب ذات الأديان المتطورة، فأكبر وأصلب عوامل المقاومة والمناعة والتغذية والتموين الإنساني في وجه التبديل السريع لمجتمع ما إلى سوق استهلاك جديدة وتغيير الناس بشكل مفاجئ لحظي إلى كائناتٍ ليس لها إلّا أفواه شرهة مفتوحة متعطشة للمنتجات الغربية، ومقابل الانتشار الإجباري المفروض لداء الحداثة الاستهلاكية الفارغة وتنميط الروح العالمية وصبّ البشر كلهم في قالب واحد، أكبر عوامل المقاومة بوجه ذلك كله هو الأصالة الثقافية والشخصية التاريخية والنظم التقليدية المتينة في المجتمع.

نعلم أن تراث الشعوب وتواريخها وثقافاتها وتقاليدها ممتزجة بروح الدين، بل إن الدين هو الذي يصوغها ويصنعها في بعض الحالات، فهي زاخرة بالحياة والجاذبية الدينية القويّة المؤثرة، ولذا رأينا ونرى الاستعمار، خصوصاً في بداية وفوده، قد حارب الدينَ باسم محاربة التعصّب، وحارب التاريخَ بذريعة إدانة الرجعية، واشتبك مع التراث تحت طائلة قمع القديم والخرافات. وذلك لكي يصنع أناساً بلا تاريخ ولا تراث ولا ثقافة ولا دين ولا أيّ شيء آخر، وليكونوا بالتالي بلا شخصية ولا هوية، ولا يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم حيال السطوة المعنوية والمادية للاستعمار، ولا يقدروا إلّا على التقليد الشمبانزي، ولا تبقى لهم من مفخرة ومأثرة سوى الحداثة والعصرنة المفرطة في استهلاك الجديد والرياء والتمظهر المثير للغثيان بالاغتراب عن الذات، وإقصاء الأصالة والقيم الذاتية، وبالتالي العصبية في

التقليد والتشبّه بالأجنبي،[1] وبالنتيجة الاستسلام بكل هدوء، والتروّض على المصير الذي قرّروه لهم، وترك البوابات مفتوحة للخصوم بكل شوق وارتياح، والبقاء بلا أيّ سلاح ولا أيّ دفاع في عصر بربرية التحضّر، وجلّاديّة التقانة وقسوتها، ومخادعات العلم وحيله، وسحر الفنون، ودجل الفلسفة، ونفاق الديمقراطية والنزعة الإنسانية التي تحولت كلها إلى مجرد موظفين طيّعين لدى ديانة المال وفلسفة أصالة الاستهلاك.

ولهذا ما إنْ قامت البرجوازية في أوربا مطلع العصر الحديث، أي في القرنين السادس عشر والسابع عشر – باسم التنوير وعبادة العلم! – حتى

(١) «من تشبَّه بقوم فهو منهم» كلام الرسول هذا، من حيث المعنى واللفظ، هو نفسه الذي يسمّيه علماء الاجتماع اليوم وخصوصاً المستنيرين المناهضين للاستعمار بالـ assimilation . لقد قسّم الاستعمارُ الأوربي الشعوبَ المستعمَرة بدقة وسرعة إلى قسمين أو فئتين اجتماعيتين وثقافيتين، وبعبارة أخرى يتقسم المجتمع غير الأوربي الخاضع للاستعمار حيال الاستعمار الأوربي إلى مؤسستين اجتماعيتين متضادتين في الأفكار والروح والحياة: indigénat أو المحلّيون أي عموم الناس الذين بقوا على ما كانوا عليه، والذين نسمّيهم المتقوقعين والمتحجرين والمتزمتين والقديميين والمتدينين وغير ذلك، و assimile أو المتشبهون، والمراد بهم هنا المتشبّهون بالأوربيين، والذين نسميهم نحن المتحضرين والمتجددين والحداثيين والعصريين والمتغربين وحتى المستنيرين وامرأة اليوم ورجل اليوم وغير ذلك، وليس أيّ من هذه التعابير والتسميات بصحيح، إنما التعبير الصحيح والدقيق هو ذلك الأسيميليه الذي لا هو أوربي ولا آسيوي ولا أفريقي ولا غربي ولا شرقي ولا قديمي ولا متجدد، بل هو لا شيء: هيله هيو! لا يمكنك أن ترى ما هم ومن هم وكيف يتكاثرون كبيض الجراد وتزداد أعدادهم ساعة بعد ساعة؟

اصطدمت بالدين، وعندما دخلت مرحلة الاستعمار وزحفت إلى العالم الشرقي هاجمت أول ما هاجمت الأديان الكبرى بأسماء ويافطات مغرية مثل القومية والليبرالية والحداثة والعصرنة والنزعة الإنسانية. وكان أسلوبها في ذلك أن تستئصل الدينَ من جذوره بين النخبة والشرائح الواعية بينما تمسخه بين عامّة الناس شرّ مسخ وبأكثر الأشكال رجعية وانحطاطاً وخرافية، بحيث لا يعجز الدينُ عن أن يكون عامل مقاومة وتوعية وحراك وتوثب وحسب، بل ويغدو مادةً مخدرة منوّمة تشغل الناسَ بالأوهام والخيالات الواهية والخرافات الجاهلية والأعمال والمراسم الميّتة الروح العديمة المعنى لصرف نباهتهم عمّا يجرى عليهم، بل ولكي يتحوّل هو نفسه عند اللزوم في بعض الأحيان إلى وسيلة للتفرقة، واقتتال الإخوة، والحروب المفتعلة، وشلّ التحرر الفكري، وتلويث أيّ سياق ينطلق من أجل تنوير الأفكار وتوعية الشعوب، وإحياء الروح الدينية الحقيقية على وجه الخصوص.

ولأجل تنفيذ هذين الدورين المتناقضين للدين كانت هناك حاجة إلى فريقين من الممثلين البارعين الفنانين يظهرون بوجهين متعارضين في الظاهر ويقفان على طرفي قطبين كاذبين في مواجهة بعضهما ويشنّان حرباً كاذبة ضد بعضهما، ويكون القائد الأصلي في هذه الحرب طرفاً واحداً، والغنائم التي يحصل عليها أي جانب من الجانبين والأراضي التي يفتحها تُحال في الحقيقة إلى ذلك الطرف الواحد. أحد هذين الفريقين الممثِّلين في هذه الحرب المفتعلة التي تشتعل بقيادة الناهبين العالميين ولا غاية منها سوى النهب، يرتدي ثيابَ ومكياج وأقنعة ولهجة وتمثيل وحركات «المستنيرين»،

والفريق الثاني يعتمد ثيابَ ومكياج وحركات وأقنعة ولهجة وتمثيل وبيان «رجال الدين».

وقد كان دورُ أشباه المستنيرين أسهل. فلقد كانت مهمّتهم إشاعة أفكار غربية منتقاة ومعتقدات أجنبية مبتسرة مجتزأة، وترويج أسلوب حياة وعلاقات اجتماعية وأخلاق وسلوك غربي عصري حداثوي، ومسخ الشريحة الواعية النخبوية والتقدمية من الجيل الشاب الدارس في المجتمعات غير الأوربية إلى أشباه أوربيين (Assimilation) في داخل مجتمعاتهم من أجل توفير مقراتِ نفوذٍ وتغلغلٍ وتسربٍ وجسورِ تواصلٍ وتفاهمٍ مع الغرب الغريب، وبالنتيجة الاحتلال الثقافي والسياسي والاقتصادي لحصون التعصّب العصيّة على الاحتلال!

نهضة التشبّه الاستعمارية هذه التي أقيمت كذباً تحت عناوين الاستنارة والحداثة والعصرنة والتقدم، انطلقت وبدأت من حيث أنهم اعتبروا الشرط الأول للتحضّر والتشبّه بالغرب المتقدم، وللتفكير العلمي الحديث التمرد على تاريخنا وثقافتنا وكل أصالاتنا، وخصوصاً القضاء على كل قيمنا الفنية والتقليدية والأخلاقية، وكخطوة أولى، الكفاح ضد الإيمان الديني وإشاعة اللاتعصب المطلق، وأكدوا على أن العلوم العصرية جعلت من الدين في الغرب أسطورةً. لذلك رأينا أنه في حين كانت الأكثرية الساحقة من أعظم النوابغ العلميين والمكتشفين والمخترعين الغربيين المشاهير الذين ارتقوا بالعلوم البشرية الحديثة إلى عنان السماء متدينين، نجد أنصاف المستنيرين في بلداننا الإسلامية إذا وصلوا إلى مرحلة قراءة الصحف، أو إذا

بدأوا يستخدمون الأزياء والأثاث والمكياج الغربي، وخصوصاً إذا تلقّوا بضعة دروس في علم الأشياء التي يسمّونها علوم الرياضيات أو الطبيعيات، فلن يعودوا يعترفون حتى بالله! بينما كان أنشتاين يقول «الشعور الديني أكبر حافز على البحوث العلمية»، وكان ماكس بلانك فخرُ الفيزياء الحديثة يهتف: «كتبوا فوق بوابة معبد العلم يُمنع دخولُ من لا إيمانَ له»، أمّا هنا فلمجرد أن جيلنا المتميّع سمع مجرد سماع باسم هذين العالمين راح يتمرد على الدنيا والآخرة وكل شيء، ويعلن باسم العلم الحديث أن قضية الله محلولة تماماً في الغرب من وجهة نظر علمية!

هذا الجيل المتشبِّه بالأجنبي الذي ظهر على يد ممثلي أدوار التنوير والحداثة مهمّته الرئيسة كما قال سارتر أن يكون سمساراً لمظالم الاستعمار الأوربي،[1] وعلى حدّ تعبير شاندل فإنه: «دليل هذا الچنگيز السفاح الذي رفع يديه عن رؤوس الناس ورقابهم ليدخلها في جيوبهم»![2] فهو يبعثر ويخلبط مجتمعه الأصيل لصالح ذلك الچنگيز، وينسف بيديه كلَّ ما عنده وما وصله من الماضي من تراث وكنوز، ويفرض شتى صنوف الحياة الاجتماعية والسياسية والإدارية والاقتصادية والأخلاقية والثقافية والعقيدية الغربية على بلده، ولأن هذه البلدان تعرّفت على الحضارة والعلم والثقافة والإنسان الغربي الجديد عن طريق هذه الوسائط الداخلية وعلى شكل

---

(١) مقدمة سارتر لكتاب Les damnés de la terre تأليف فرانتس فانون.

(٢) حوار في سجن باريس.

استعمار أوربي حديث، وكان هؤلاء الوسائط هم الذين عرّفوا الناس على الحداثة والتحضّر الغربي، فكان من الطبيعي أن يعلّمونا حداثةً وحضارةً لم تكونا موجودتين في الغرب. ولهذا نرى أنه ظهر بيننا نوع من المستنيرين الحداثويين المتأثرين بالغرب وراحوا يتكاثرون مثل بيض الجراد، نوع لا يوجد حتى في الغرب!

انظروا لطلائع نهضة شبه التنوير والعصرنة والحداثة في المجتمعات الإسلامية، مَن هم؟ الوجه الأول من هذه الجماعة والذي ظهر كممثل على مسرح تلك الحرب المفتعلة بدور المستنير الحداثي شبه الأوربي هو الميرزا ملكم خان الذي بذل قصارى جهده ليصرخ: «اسمحوا للبنوك الأوربية بافتتاح فروع لها في إيران، ودعوا الشركات الخارجية تأتي وتعمّر البلاد (فهذا هو معنى الاستعمار: التعمير!) ولا تخافوا منهم...».[1] وكان أحدهم تقي زاده الذي هتف قائلاً: «السبيل الوحيد لتقدمنا أن نصبح غربيين من قمّة رؤوسنا إلى أخمص أقدامنا. وقد كنتُ أنا أول من فجّر قنبلة التسليم أمام الأوربيين في المجتمع الإيراني آنذاك!...».[2] نعم! يجب محق الدين ليمكن تفجير قنبلة التسليم هذه في قلب المجتمع. ينبغي أن يزول

(١) «الميرزا ملكم خان» لصفائي، و«حرية الفكر» لآدميت.

(٢) وقد كذب حتى في قوله هذا، ما يدل على أنه رحمه الله لم يكن يتحلى بالأصالة حتى في العار وقنبلة التقليد! فالميرزا ملكم خان الأرمني السارق صاحب اليانصيب أحقّ منه بأراجيز الاستسلام.

الإسلام بوصفه رجعية ومعارضاً للتقدم والحداثة والتحضّر على يد أمثال الميرزا ملكم خان في هذا العصر لتدخل البنوك والشركات والكارتلات بلا أيّ موانع أو مضايقات من العصبيات، لأن الميرزا حسن الشيرازي هذا المجتهد غير المتجدّد هو الذي يقف بكل قوة وشعور ديني ضد شركة «رجي» توأمة شركة الهند الشرقية، ويعلن أن «استعمال التنباك اليوم في حكم محاربة الإمام المهدي المنتظر» فيثير كتلَ الناس والجماهير المتعصّبة دينياً ضد هذه الشركة إلى درجة تتمرد معها زوجة الملك القاجاري على زوجها — الذي منح الامتياز للشركة — فلا تُعِدُّ له التنباك والنرجيلة في قصره! وهذا متعصّب ديني متحرِّش آخر اسمه السيد جمال يشعر بالخوف والخطر ويهتف: «يريدون إدخال البنوك إلى بلادنا! أجل البنوك! وما أدراك ما البنوك!».[1]

أجل، يجب محو الدين من أذهان النخبة الواعية والشرائح المتميزة الرائدة في المجتمع لينفتح المجال لدخول الدين السوقي والرقّ الحديث، ولكي يسقط ويتقوقع الشعبُ الذي أذهلت ذهنيتُه الخلّاقة المبدعة ونبوغه العالمَ في ظلمات القرون الوسطى ويعود برّاقاً من الخارج خاوياً من الداخل إلى درجة يبقى معها حائراً لا يدري ما يفعل حتى في بناء بيته وارتداء

(١) يقول السيد سنقور الشاعر الأفريقي المنادي بالحرية: «لن ينتهي الاستعمار الفرنسي لأفريقيا باستقلال بلداننا وعودة الجيوش الفرنسية والسياسيين والمستعمرين الفرنسيين إلى فرنسا، إنما يمكن القول إن الاستعمار غادرَ أفريقيا عندما يغلق بنكُ كردي ليونه أبوابه».

أزيائه وتجميل غرفته، ويعود بدوياً لا يتجرّأ على الاختيار بنفسه حتى في خصوص طريقة أكله!

وفي الوقت نفسه، وعلى المسرح نفسه، ولكن على الخشبة المقابلة، هناك ممثلون آخرون بمكياج معاكس يمثلون دوراً معاكساً. الوجوه هنا كلها وجوه قديسين والمكياج كلّه مكياج ديني، والكلام كلّه عن الله والآخرة والجنّة والنار والثواب والعقاب والمعاصي والوحي والرسول والقرآن والإمامة والولاية والتقوى ورجال الدين والمعنوية والأخلاق والزهد والارتياض والإعراض عن الدنيا والزخارف المادية! الدور الذي يمثله هؤلاء أصعب وأعقد. إنه دور ديالكتيكي! على هؤلاء الفنانين القضاء على الدين عن طريق تبليغ الدين وترويجه! ينبغي عليهم إخفاء حقائق الدين وأفكار زعمائه وأئمته ونصوص كتابه، وصدّ الأذهان عن معرفتها، تحت يافطة تعظيم الشعائر الدينية، وتكريم الشخصيات الدينية الكبرى، وتقديس الكتاب السماوي والتبرّك به. في ذلك المشهد كان الشكل والمضمون واحداً: محقُ الدين والنضال ضده بمعونة الأفكار المستوردة المناهضة للدين. أمّا الممثلون في هذا المشهد فيقع على عاتقهم دور يتناقض فيه الشكل والمضمون. إنه جمعٌ بين نقيضين! عملية مستحيلة تغدو ممكنة بفضل السحر وخفّة اليد التي يتمتع بها هؤلاء الفنانون المتمرّسون!

هنا أيضاً تبدو سيرة الإسلام أوضح من كل الأديان الأخرى وأكثر كارثية وفجيعة، لأن العدوّ استخدم كلّ نبوغه ومساعيه وعلومه في هذا

السبيل: الإسلام ضد الإسلام! هدم الحقائق بواسطة تعظيمٍ زائفٍ للشعائر!

لقد ثبتَ الإسلامُ منذ البداية مبدأ أن الإسلام متى ما واجه العدو كان المنتصر دوماً حتى لو كان في منتهى الضعف والعدوّ في ذروة القوة. ولكن عندما يرتدي العدو زيَّ الصديق ويلبس الشركُ والفساد ثياب التقوى يُمسَخُ الإسلامُ من الداخل وهو في قمّة جلاله وعظمة شعائره وظواهره، ويفقد حقيقته وحياته، ويضرب بسيفه أعناق أطهر أنصاره وقادته وأقربهم!

عندما رفع بنو أمية اللات وهبل على أيديهم، وشهروا السيوف بوجه الرسول، ورشقوا القرآن بالنبال، كان مصيرهم الهزيمة في بدر والفضيحة في الخندق. ونهض الإسلام بعد كل ضربة تلقّاها من العدو أقوى وأنصع وأكثر إشراقاً، وتقدّم خطوة أخرى إلى الأمام. لكن أبا سفيان انتقل فجأة من تلك الجهة من الخندق إلى هذه الجهة، وصار بيته ملاذاً للإسلام بعدما كان عشرين عاماً مقرّ المؤامرات ضد الإسلام، وأضحى ابنه يزيد مجاهد الإسلام الكبير الذي رفع رايات التوحيد في بلاد الشام، وابنه الآخر معاوية صحابيَّ رسول الله وخالَ المؤمنين وكاتبَ الوحي.[1] وحينئذ استطاعوا تلافي هزيمة بدر في صفين، فقد كانوا في بدر يُقسِمون بهبل، وفي صفين

(١) القرآن، واحد بعشرة...

بالله. وهناك كانوا يرمون القرآن بالسهام، وهنا يرفعونه فوق الرايات، ولذا عندما كانوا في ذلك الجانب من الماء تلقوا ضربة عادلت عبادة الثقلين، وحين زحفوا لهذا الجانب من الماء انتقموا بسهولة عند الفرات من رجل كانت تلك الضربة القاصمة من بنات ساعده.

كلُّ من يعرف رسول الإسلام والقرآن يعلم جيداً أن الخطر الوحيد الذي يتحدث عنه هذان دوماً ويخافانه على الإسلام والأمّة الإسلامية ليس المشرك أو الكافر أو الوثني أو المادي أو الدهري أو الطبيعي أو مَن لا يعرف الله، فقد كان الإسلام منتصراً دوماً في معركته الفكرية والعسكرية مع هؤلاء الأعداء. العدوّ الخطير هو المنافق، الظالم الذي يتلفّع بلبوس العدل الإسلامي، الوثني وعابد البشر والمال والقوة الذي يرفع شعارَ التوحيد، تاجر الرقيق وتاجر الدين وتاجر العلم والمتاجر بالبشر الذي يمكيج نفسه ليظهر بمظهر رجل الصلاح والآخرة، العنصر الذي يتحوّل إلى أداة بيد الكفر ويجعل الإسلام أداة بيده، حارس الجهل والتخدير ومروّج الخرافات والكذب والأوهام، وعامل الركود والخمول والجمود والذلة في المجتمع، وإغفال الناس عن الحياة والمصير والفقر والهوان والخطر ودسائس العدو، وبالتالي عن كل ما يجرى في العالم والمجتمع. إنه يدعوهم للاستسلام باسم الإسلام، ويعلن عن رضا الله بزيّ القداسة الزائف إرضاءً لأرباب الأرض وإراحةً لبالهم، ويعرّف إلهَ الإسلام الذي يحبّ «العزة»، ورسول الإسلام الذي يسمّي الثروة «خيراً»، والإسلام الذي هو دين «العلم والعدل

والحديد»، يعرّفهم بأنهم يمنحون الثواب والأجر لقاء الصبر على الجهل والظلم والضعف والفقر والتخلف والمرض، ليجني أجوره المربحة من قوى تتغذى على جهل المسلمين وفقرهم وانحطاطهم وإيمانهم بالأوهام.

ليس من الصدفة أن يغضب القرآنُ من المسلمين الذين يقفون وراءه بنفاق أكثر من سخطه على المشركين الذين يقفون ضده علانية. هناك سورة مستقلة باسم هؤلاء المسلمين! وليس عبثاً أن الرسول عندما كان وحيداً في مكة المليئة بالمشركين كان يصرخ بوجه الأصنام دون أيّ خوف، وكان في المدينة التي أحاطوها كجوهرة من الأعلى والأسفل واليسار واليمين والشمال والجنوب، يضرب معوله في الخندق بوجه هادئ واثق طافح باليقين بالنصر ضدّ العدو، والآن بعد أن مدّ ظلاله على كلّ شبه الجزيرة العربية وقضى على خطر المشركين والمتوحّشين في كلّ مكان، وحطّم جبروت امبراطوريتين عظميين كانتا تتلاعبان بالعالم في الشمال والجنوب، وعاد منتصراً من كلّ معاركه غير المتكافئة مع العدو، ليس من الصدفة وهو في ذروة اقتداره أن يكون عندما يريد توديع أمّته خافتاً قلقاً كل ذلك القلق وأن يتكلم بقلق.[1] إنه يعلم أن الإسلام لن يهزم أبداً بسبب قلة عدده.[2] ويدري أن سيوف المشركين ومنكري الله لن تبضّع الإسلام إرباً. يدري أن

(١) في آخر خطبه في المسجد: «أيها الناس، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها».

(٢) في كلام الرسول عندما سار في مقدمة اثني عشر ألف مقاتل لحرب قبيلة هوازن.

الإسلام لن يركع في ساحة المعركة الصريحة. يعلم أن حماة دينه الرسميين هم من سوف يهدمون داره. يعلم أن صحابته الكبار هم من سوف يفرضون على عليّ لزوم بيته، والمقدسين المصلّين الصائمين الزاهدين هم الذين سيتركونه وحيداً في صفين، ويشهرون السيوف بوجهه في النهروان، وأخيراً يضمّخونه بدمه في المحراب!

كان يعلم أن محراب المسجد سيكون ساحة مقتل عليّ. كان يدري أن أبا ذر لن يقتل بسيوف الكفار في الجهاد بقبرص، بل سيموت وحيداً جائعاً في الربذة بفتوى مفتي الإسلام الرسمي كعب الأحبار، وبأمر صحابيّه المتقي ذي النورين. كان يعلم أن شهادة شخصيات إسلامية مبرّزة وفتاوى مفتين رسميين هي من ستذبح صديقه الباسل حجر بن عدي ليبدو ذبحه ذبحاً شرعياً! كان يدري أن مذبحة أهل بيته وأسْرهم في عاشوراء لن تكون في القادسية ولا في اليرموك، ولا بسيوف خسرو أو قيصر، ولا بفتاوى الموبدين المجوس ولا قساوسة النصارى ولا أحبار اليهود ولا براهمة السومنات، بل بفتوى مفتي الإسلام وأمْر أمير المؤمنين خليفة الإسلام عبيد الله حاكم الحكومة الشرعية وعمر بن سعد بن أبي وقاص الفاتح الإسلامي والمجاهد الشهير، وبالتالي من قبل خيل الله وجنود الإسلام الذين فتحوا أراضي الكفر في كلّ مكان، وشيّدوا مساجد الله مكان الكنائس ومعابد الأوثان واليهود، ونشروا نداء الأذان الملكوتي في شرق العالم وغربه، وجمعوا القرآن واستنسخوه وروّجوه، وبالتالي فهم الجيش الذي شكر الله على انتصاره في عاشوراء لا بالرقص والفساد وشرب الخمر بل بالصيام لله، وبنوا

مئات المساجد شكراً لله على إنقاذه دين الإسلام من خطر «هؤلاء الخارجين على دين مُحَمَّد العاصين لله المتمردين على خليفة رسول الله الشاقين لعصا المسلمين»! ما من تاريخ أكثر غرابة وإدهاشاً وإيلاماً من تاريخ الإسلام. الدين الذي انتصر دوماً في الخارج على الأجنبي وانهزم دوماً في عقر داره أمام المقربين. من ذا الذي بوسعه أن يتصور بسهولة أن زعماء الإسلام الحقيقيين يُقتلون كلهم أو يُسمّون على يد زعماء الإسلام الزائفين؟![1]

ومصير التشيع كان مصير روح الإسلام، الروح التي ذهبت ضحية جسدها! لقد قتل آل مُحَمَّد بسيوف حفرت عليها آيات الجهاد في سبيل الله وشعارات التوحيد، وفي حكوماتِ مَن كانوا يعمّرون المساجد ويجاهدون في سبيل الله ويفتحون البلاد للإسلام ويجمعون القرآن وينشرونه ويحمونه رسمياً. من ذا الذي لا يعلم أنها ليست سيوف رستم فرخزاد ولا هرقل ولا ألسنة ابن أبي العوجاء وجاثليق التي أبدت الإسلام على ما نراه، بل هي روايات أبي هريرة وأحاديث أبي الدرداء وفتوى كعب الأحبار وأبي موسى وشريح القاضي وكبار أئمة الجماعة والفقهاء والمتكلمين ومفسّري القرآن والقضاة وحكام الشرع والوعاظ والزهاد والعرفاء الكبار وخلفاء الرسول؟! هؤلاء هم الذين نخروا الإسلام من الداخل وأفرغوه من محتواه وجعلوه بلا روح ولا اتجاه ولا حياة ولا حراك، وهم ليسوا زنادقة ولا دهريين ولا كفاراً ذمّيين، بل

---

(١) ما منّا إلّا مسموم أو مقتول (الإمام).

هم أولياء أمور الدين وممثلو رجال الدين ومن يتولون إقامة شعائر الإسلام من حجّ وصلاة وجهاد وزكاة وأذان وعمارة المساجد ونشر القرآن وإملاء الحديث وترويج السنّة وتمديد رقعة الدين وبسط قدرته وإعلاء عظمة الحضارة ونشر العلوم وإثراء الثقافة والعرفان والحكمة الإسلامية.

وما من تاريخ مكرور كما هو التاريخ الإسلامي. وهو كذلك أيضاً كما كان في السابق بل وأسوء! الحداثيون الذين يتولون القيام بدور محق الإسلام ومحوه أشباه مستنيرين تغريبيون وأعداء للإسلام صريحون معروفون. هؤلاء «إنْ لم يكن لهم دين فهم أحرارٌ في دنياهم» على حدّ التعبير الإنساني الجميل لابن عليّ المتدين الحرّ، حريتهم في أنهم لا يخفون أنفسهم وأسماءهم وشخصياتهم وأغراضهم وأمراضهم، بل يعلنونها صريحة واضحة. هؤلاء لا خطر فيهم، بل على العكس يستقوي الإسلامُ ويزداد حيوية بخوض المعارك معهم، لأنهم بدأوا جدالاً فكرياً مع الإسلام، وقد كان بوسع الإسلام دوماً أن ينهض لجدالهم في هذا الميدان بمنطق أقوى وأمتن. ما من كتاب مادي أو ترجمة كتاب مناهض للإسلام أو مفكر معارض للدين تقدم خطوة إلى الأمام في هجماته على الإسلام. حين يقف الإسلام والكفر في رتلين متواجهين معروفين، وتكون المعركة معركة فكرية عقيدية منطقية يتقدم الإسلام ويحقق مكاسب مهمة حتى في زماننا هذا الذي هو زمن ضعفنا وتفرّقنا وانحطاطنا.

في أفريقيا يواجه الإسلام الأجهزة الدعائية المادية الإلحادية الهائلة من جهة، ومن جهة ثانية ينازع الكاثوليكية، وقد أكد البروفيسور ونسان مونتي

أنه من بين كل خمسة أفارقة يغيرون ديانتهم يدخل أكثر من أربعة منهم في الإسلام ويعتنق أقل من واحد منهم المسيحية، والذين يعتنقون المسيحية أكثرهم من الموظفين المحليين في المستشفيات والمؤسسات والشركات الأوربية والأجهزة الدعائية للمسيحية ذاتها! هذا في حين تنفق على التبشير المسيحي في أفريقيا مليارات الليرات والدولارات كميزانيات سنوية من أجل البحث والتحقيق في كل تفاصيل تاريخ هذه القارة وثقافتها وأدياتها وقبائلها ومؤسساتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وخصوصياتها العرقية والنفسية وحتى الجغرافية، وقد ترجموا الإنجيل الآن لكلّ اللغات المحلية التي تتكلمها القبائل البدوية، وصاروا يعرفون القارة السوداء «كما يعرفون جيوبهم» على حد تعبيرهم، وهم مطلعون بكل دقة على كل نهر وجبل وسهل وقبيلة وحشية معزولة وعلى كل التقاليد والأعراف المنسيّة في أعماق المجتمعات الأفريقية.[1]

(١) ولا نزال نقرأ في بعض كتبنا الدينية أنهم يطلبون من الحجاج بإصرار أن لا يعطوا للسودان لحوم الأضاحي التي يذبحونها بمئات الألوف وسرعان ما تدفنها البلدوزرات تحت التراب! وحين نسألهم لماذا لا نعطيها للسودان؟ فلحوم الأضاحي يمكن إعطاؤها حتى للكفار، فما ذنب هؤلاء؟ لماذا ينبغي أن يكون الشعب أو البلد محكوماً مغلوباً على أمره بهذه الشدة الاستثنائية؟ وخصوصاً الشعب المسلم! ثم تكتشف أن كاتبنا العالم الذي ينبغي أن ينشر الإسلام في أفريقيا لا يعلم أساساً أن السودان اسم بلد، أو إذا كان يعلم فهو لا يعلم أنه بلد إسلامي، ولو علم هذين فإنه لا يعلم لماذا كتب مثل هذا الشيء!

إذا كان أشباه المستنيرين والمثقفون اللادينيون قد استطاعوا إحراز نجاحات في محق الإسلام وصيد الكثير من أبناء الجيل الشاب المتعلمين فنجاحهم برمّته يعود الفضل فيه إلى الدور الماهر لأشباه رجال الدين الذين سبق أن نفّروهم وأبعدوهم عن الدين بتمثيلهم مسرحية مسخ الإسلام، فاستطاع أعوانهم في الطرف الآخر من المسرح أن يصطادوهم وهم يفرّون من الدين، وهذه هي الحادثة التي كان يريدها مخرج كلا المشهدين. ذلك أن ممثلي دور الدين الذين يتولون مهمة مسخ الدين ناجحون في مهمتهم ويجمعون حولهم أناساً بفضل سحرهم وفنونهم وخفّة يدهم، وينوّمونهم بالأوراد والسحر الذي ينفخونه فيهم، ويسمّمون أرواحهم بالمشاعر والعواطف والمحبة والآمال والأحقاد والكراهيات المصلحية المصطنعة الوهمية ويشغلون أذهانهم بأسماء وأوراد وأوهام ويهدرون أوقاتهم بحركات وعادات ومراسم وشعائر خاوية بلا روح ولا معنى. وعلى كل حال فهم عاكفون على شيء يسمونه الدين، ويشغلون أنفسهم بذهنيات لا فائدة منها يسمونها الإسلام وبمودّات وحيل وعداوات وأشواق وتحيّزات وحالات خاصة وبكاء فظيع لسماع أسماء وأشخاص ومسائل وأحداث مجهولة لا يدرون ما هي! وعلى كل حال يتخرّجون كائنات يعيشون في الماضي وفي أحداث الماضي، ويفكرون حسب ظنهم بالآخرة ويوم القيامة والحياة بعد الموت. أمّا الزمن الحاضر فنصيبه النسيان، حاضرهم وحاضر أعدائهم! جعلوا الإسلام وسيلة لغياب المسلمين عن زمنهم الحاضر. جعلوه حادثة في الماضي. وجعلوا التشيع طريقاً مختصراً ينقلهم من ذلك الماضي العائد لأربعة

عشر قرناً إلى الجنة مباشرة! والمهمة الأساسية لممثلي الدور الديني هي إخراج المتفرجين من الزمن الحاضر لجعلهم مسلمين. بأيّ معنى؟ بمعنى أنهم يأخذونهم إلى ما قبل الزمن الحاضر. من أجل ماذا؟ من أجل الحياة بعد الموت. وماذا عن الحياة الحالية؟ ماذا عن الإسلام قبل الموت؟ ما فائدة الإسلام للوقت الحاضر؟ ما فائدته لشعوبنا وزماننا، وما هي حلوله لجهلنا وجوعنا وانحطاطنا وأصدقائنا وأعدائنا... وأوجاعنا واحتياجاتنا؟ لا شيء.. فهذه أمور دنيوية وكلام دنيوي، إنها الحياة الدنيا وزخارفها، وكل النعم الدنيوية لا تساوي فلساً.. تخلَّ عن الجسد لكي لا تحتاج إلى قميص!

نوع من العدمية الدينية! فلسفة عبثية اسمها الدين. نمط من استخدام الدين لصالح طلاب الدنيا. عندما لا يفكر الناس في الدنيا فلماذا يخشى أرباب الدنيا على كنوزهم القارونية وعروشهم الفرعونية؟ عندما ينتزع الدين ثروات الأرض أي أنعم الله من أيدي الناس ويقول عنها إنها نجسة وجيفة ويرميها بعيداً فمن الواضح مَن الذي سيلتطقها؟ وحينما يلتقطها هذا يتبين لماذا رماها ذاك بعيداً!

على كل حال، مهمة الممثلين في هذه «التشابيه الدينية» هي انتزاع الناس من زمانهم الحاضر وتنويمهم بخفّة يدٍ وجاذبية روحية، ومسخ إسلام الحاضر، إسلام الحياة الجارية، إسلام العيش والحركة والمسؤولية والجهاد، إسلام الأرض والحياة والإنسان إلى إسلام هورقليائي، إسلام يأخذ الروح إلى الماضي، ويقذفها من هناك مباشرة إلى ما بعد الموت. ومخرج هاتين المسرحيتين لا شأن له بالماضي ولا بما يحدث بعد الموت، إنما كل غرضه

ومرضه مقتصر ومختصر بالزمن الحاضر هذا، وهذا التراب القذر المنحط. ولذا فالإسلام الذي يروّج له الممثلون الدينيون إسلام محلّق في الأعالي النائية يريد أن يقنع متفرّجيه أن هذا المتاع القليل لا يستحق كلّ هذه المتاعب، فجُدْ به على غيرك! هذا هو الإسلام الذي ينبغي أن ينيم متفرّجيه ويدخلهم في غيبوبة. وإذا قَذَفَ أولئك الذين ناموا وغابوا وذهبوا إلى الماضي من هناك إلى الجنة قذفةً واحدةً مباشرةً من دون مشاق السفر وبمعجزةٍ «كل مولائية» فنورٌ على نور.. وما أفضل من هذا؟! في مثل هذه الخلسة العرفانية والجذبة العاشقة والمعراج إلى العالم الهورقليائي ما يدريه ما الذي تفعله يدُ هذا الشاطر المنحط آكل الجيف في جيبه؟ وحتى لو عَلِمَ فما الذي سيفعله؟ ليس فيه رمق اعتراضٍ ولا فرصة رفضٍ، ولا الأمر يستحق الاعتراض أساساً. «يا مَن لا علمَ لكَ بلذّة شُربِ مدامنا»[1] بماذا نفكر نحن وبماذا تفكر الأفلاك! نحن في الملكوت الأعلى نرتع في حبّ سيدنا ومولانا، تلامس أجنحتنا أجنحة الملائكة، نحلق في فضاءات القرب، ونشيّد لنا بكل قطرة دمع نصبّها ليل نهار حقداً على أعداء سيدنا قصراً من ياقوت وزبرجد في الجنة ونحتضن حوريةً بين أذرعنا، وأنت التعيس المادي تقضي عمرك كله بالكدّ والكذب والنزاع والحروب والخدع لتحصل على كل برميل بثلاثة سنتات أقل من السعر الحقيقي! «يا مَن لا علمَ لكَ بلذة شُربِ مدامنا»!

---

(١) مصرع شعري لحافظ الشيرازي.

هل يمكن لجماعة من شطار المجلس أن يحدقوا بأعينهم في أعين هؤلاء المشعوذين خفيفي الأيدي ويتملونهم طويلاً ولا ينامون؟! يستمعون لسحرهم ويفسرون أورادهم ويكتشفون مكرهم ويفهمون دور الدين ويدركون لماذا كل هذا الإصرار والإلحاح على أن نلقي من أيدينا هذه التفاحة الحمراء لأنها فاسدة ومليئة بالديدان؟! ويرون أنهم ما إنْ يرمونها حتى تتلقفها في الهواء أيدي جماعة تقف وراء ستار المسرح، ولماذا كل هذا التلقين والإيحاء ليغطّ الناسُ في نوم عميق ويتذوّقوا ويفهموا أي معجون مسموم مخدر هذا الشراب الطهور؟!

وما الذي سيحدث عندها؟ عندها سوف يستنير، يصبح مستنيراً! سوف يكره هذا الدين وهذا الدور اللاإنساني واللاحياتي الذي يمارسه، وسيعي مَن الذين تحول إلى أداة بأيديهم، وسيهرب خائفاً من هذا الفخّ السحري الذي نصبه له سحرة فرعون، يهرب واعياً فطناً! إلى أين؟ إلى هذه الجهة من الصالة! إلى جهة المتفرّجين على استعراضات الميرزا ملكم خان وأمثال الميرزا ملكم خان! الهدف واحد على كل حال. الموضوع الأصلي لكلا المسرحيتين المتعارضتين واحد «لا فرق بين أن يعيقك الكفر عن طريقك أو الإيمان».[1] وما الفرق؟ وما قيمة الأسماء والعناوين والشعارات بحدّ ذاتها؟ القول ما قاله غلادستون رئيس وزراء بريطانيا اليهودي النزعة مطلع التغلغل الاستعماري في المجتمعات الإسلامية بغضب

(١) مصرع شعري لسنائي غزنوي.

في البرلمان البريطاني هين هتف: «طالما كان هذا القرآن بين ظهرانيهم فلن نستطيع فعل شيء»!

عندما يجرى الكلام عن خصام بين الإسلام والاستعمار الغربي يعترض بعض المستنيرين السطحيين ويقولون إن العلاقة بين الشرق والغرب علاقة اقتصادية مبتنية على الاستعمار، وتترتب عليها وإلى جانبها قضايا سياسية وعسكرية، فما علاقة الدين بذلك؟ لماذا تفسرون هذه العلاقة بروح دينية وخصومة دينية؟ أولاً لا يعرف هؤلاء ظاهرة الاستعمار خصوصاً في العلاقة بين الشرق والغرب وفي القرون الأخيرة من النواحي العلمية والاجتماعية. لم يعرفوا الاستعمار إلّا عن طريق الأخبار الخارجية والصحف السياسية والإخبارية ولا يدرون أن بين الثقافة والاقتصاد أساساً ترابط حتمي منطقي. ثمة صلة عِلّية (علة ومعلول) متبادلة تربط بين هذين. هؤلاء المستنيرون الجدد ينظرون، كما كان القدماء، من زاوية ثنائية فيرون المادية والمعنوية أو الذهنية والعينية ظاهرتين منفصلتين مستقلتين عن بعضهما. إنهم غير متفطنين إلى أنهم عندما يكررون الأحكام الكليشية النمطية المملاة عليهم بأن الدين هو في الأساس عامل انحطاط للمجتمع وأفيون للشعوب، فإنهم سيضطرون للاعتراف بأن الدين ليس بنية فوقية بسيطة معلولة لنظام الإنتاج والعلاقات الاقتصادية في المجتمع — التي هي البنية التحتية وعلة العلل في كل شيء — بل سيقررون له دوراً عِلّياً سببياً، وسيكون سبباً وعلة قادرة على التطرق إلى البنية التحتية الاقتصادية للمجتمع.

لقد دلَّ ماكس فيبر على أنه حتى في المسيحية التي هي ديانة فردية وروحانية وأخلاقية مائة بالمائة وتحصر نفسها في العلاقة بين قلب الإنسان والله، تولت الفرقتان الكاثوليكية والبروتستانتية دورين متناقضين في تكوين الحضارة المادية الغربية والتقدم الاقتصادي ونمو الرأسمالية والتقنية في العالم الغربي، وكانتا على كل حال عاملين أحدهما إيجابي والآخر سلبي في المصير المادي والصناعي الغربي، بحيث لو نظرنا إلى الخارطة الجغرافية للغرب لوجدنا ثمة تناظر وآصرة بين الدين والاقتصاد نضطر معه، إذا قلنا طبقاً لمبدأ دوركهايم بوجود علاقة علّية بين الظاهرتين المتناظرتين، إلى القول بأن البروتستانتية مسيحيةٌ ذات نظرة عالمية إيجابية عقلية وكل البلدان البروتستانتية من النواحي المادية بلدان متطورة وصناعية ورأسمالية (نظير أمريكا وألمانيا)، والكاثوليكية على العكس من ذلك مسيحيةٌ أخرويةٌ سلبية إشراقية، وكل المجتمعات الكاثوليكية متخلفة من النواحي الرأسمالية والصناعية (إسبانيا وإيطاليا مثلاً)، والبلدان التي تضمّ في داخلها كلا المذهبين تتأرجح بين هذين القطبين من التخلف والتقدم بحسب درجات كثلكتها أو بروتستانتيتها (فرنسا وبريطانيا و...).[1]

عندما يُعتبر دين الرهبانية عاملاً قوياً في المصير الاقتصادي والحياة المادية للشعب المؤمن به، فكيف يمكن للدين الذي يرى رهبانيته الجهاد والتهمة التي توجّه له أنه دين السيف، والذي كان مؤسسه رسولاً مسلحاً،

(١) الأكثرية في أمريكا وألمانيا بروتستانتية، وفي إيطاليا وإسبانيا كاثوليكية، وفي فرنسا وبريطانيا مزيجاً من الكاثوليكية والبروتستانتية.

وحواريه عليّاً بن أبي طالب، وانطلق تاريخه بالسياسة والجهاد، وأكد أن الزكاة في مصاف الصلاة، وكيّف نفسَهُ وأقلمها مع تهذيب الأخلاق وترويج المعنوية والعرفان والتنمية الثقافية للمجتمع ونظام الحكم والنظام الاقتصادي والحضارة، وكان شعاره دوماً الكفاح ضد جبابرة الأرض، وحمل وأطلق دعوى الحكم في كل العالم، واعتبر الدنيا مزرعة الآخرة، وحضّ المعرَّضين للظلم على التمرد والثورة المسلحة بل وحتى الصراخ والهتاف والسباب، وكان عليّ بن أبي طالب وهو مظهر تقواه وزهده ومرجع نهضته الروحية والعرفانية يعتبر —كما هم اليوم قادة الفكر في النهضة الحديثة المعارضة للاستغلال — الاقتصادَ بنيةً تحتيةً للأخلاق، والمادية سلّماً للروحانية، والحياة المادية ضرورة من ضرورات الحياة المعنوية، وأعلن رسوله بكل حسم أن مَن لا معاش له لا معاد له، وضحّى صاحبه الأكثر الناس شبهاً بالمسيح عيسى بن مريم، أبو ذر الغفاري الزاهد، بروحه في سبيل النضال ضد حكومة دينية وخلافة إسلامية، لكي «يعطوا فيها كل الثروات والرساميل لكل الناس ويصادروا الكنوز التي كنزوها»،[1] ورأى أن المساواة بين الناس ليست في القيامة وحسب بل في الحياة الدنيا أيضاً، وليست

(١) في كفاح أبي ذر لا كلامَ عن الحلال والحرام في كنز الأموال وهل جاءت بطريق «شرعي» أم «غير شرعي». إنما نسمع مثل هذا الكلام عن لسان عثمان وكعب الأحبار وأبي هريرة. إنما كل ثروة في نظر أبي ذر جمرة ملتهبة يكوى بها ظهر صاحبها وخاصرته، لأنه سرقها من الناس بجمرات ملتهبة شرعية وغير شرعية. وفي رأي عليّ بن أبي طالب «ما رأيتُ نعمةً موفورةً إلّا وبجانبها حقّ مضيّع». أما القرآن فيعتبر عملية الكنز نفسها، أي الرأسمالية الفردية، جريمةً. أما الحيل الشرعية فاصطنعوها لاحقاً.

أمامَ ميزان العدل الإلهي فقط بل أمامَ بيت المال أيضاً. إنه الرجل الذي يتعجب إذا وجد إنساناً جائعاً لا يجد الخبز في داره ولا يخرج على كل الناس شاهراً سيفه! ويعلن خلافاً للأولياء والزعماء الورعين الأخلاقيين الذين يرون الفقر تربةً صالحة لزراعة الدين وإنباته ونموّه ويعتبروه جاراً ومعايشاً للدين، يعلن أن الفقر إذا دخل من باب خرج الإيمانُ من الباب الآخر، فقد كان أولياء دينه يرون الفقر كفراً، ويعتقدون أنهم لو لا الخبز لما أقاموا الصلاة، ويعلنون بصراحة أن مَن ضحّى بدنياه من أجل دينه كمَن ضحّى بدينه من أجل دنيا، كلاهما ليس مِنّا!

الدين الواقعي المحب للطبيعة والقوة والاقتدار والجمال والثروة والتمتع المادي والنظام الاجتماعي وأصالة الحياة والتطور في العمل والإشباع الكامل السليم للغرائز البشرية، والذي يُقسِم إلهه بالظواهر المادية الجميلة النافعة، ويمتدح العزةَ واللذة والرفاه المعيشي، والذي كان رسوله رجلَ حياة وسياسة وحرب وسلطة وحتى جمال في آن واحد، وتحدث كتابه عن الطبيعة والحياة والعالم والمجتمع والتاريخ أكثر مما تحدث عن ما وراء الطبيعة والموت، ونادى بالجهاد أكثر من كلامه عن العبادة، وذكّر دوماً بفئة قليلة تغلب فئة كثيرة، ودعا الناس للتسليم أمام الله والتمرد على الظلم والإكراه والجهل واللامساواة والكفاح ضد أولياء الجور والمال والأحبار والرهبان، الدين الذي يتخذ من الدم عنواناً له ويكتب تاريخه بالثورة والجهاد ضد تحريف الحقيقة واغتصاب الحق وظلم الناس، وسار أولياؤه كلهم في درب المقاومة والكفاح حتى نيل الشهادة، وجعل أصالة القيادة (الإمامة) والعدالة مبدئين ممتازين من مبادئه وشعارين مشرقين من شعاراته...

أجل، الإسلام الذي يعبّر عنه شاندل: «كما نزل سقراط بالفلسفة من السماء إلى الأرض، أعاد محمدٌ الدينَ من الآخرة إلى الدنيا»، والمسلم الذي يتحمل على عاتقه أعباءً ثقيلة من المسؤوليات الاجتماعية بل وحتى مهمات عالمية في الكفاح ضد القبح والسعي لانتصار الإنسانية والحرية والعدالة والخير، والمجتمع الملئ تاريخه بالحضارة والثقافة والقوة والإبداع الفكري والعلمي والفني والمفاخر والانتصارات والقوة والثروة والحرية، وثقافته زاخرة بالأرصدة المعنوية والروحية والقمم الإنسانية والعوامل المحفّزة على الحياة والحراك والبناء والتنوير والاستقلال الإنساني والرؤية المنفتحة والمتحولة العالمية والتي كانت بحراً صخّاباً متلاطماً من النبوغ العقلي وجمال المشاعر ولطافة الروح وكمال الأخلاق والعواطف البشرية التي تمنح الإنسان الوعيَ الذاتي والاستقلالَ والشخصية والغنى والقوّة الإنسانية، كيف يمكن أن يُعدّ في أنظار الاستعمار العالمي مجرد ظاهرة دينية محدودة بسيطة، وقضية تشبه قضية النيرفانا في البوذية الهندية، أو ساحرية الطاوية في الصين، أو رهبانية الكنيسة الكاثوليكية في أمريكا اللاتينية، أو التقاليد المحلية لشبه الأديان الطوطمية والتابوية والأرواحية والفيتيشية في أستراليا وأفريقيا؟[1]

(١) هذا مع أن الاستعمار كان يعارض هذا النوع من الديانات أيضاً، لأن هذه الأديان غير الاجتماعية وغير السياسية لها دورها هي الأخرى من حيث صيانتها للتراث الاجتماعي وأشكال الحياة الجمعية والعائلية الخاصة بأجوائها وبيئاتها، لها دورها المقاوم

قبل أن يصل الغرب إلى مشارف مرحلة الاستعمار العالمي والامبريالية الاقتصادية الحديثة كان قد تعرف على الإسلام تعرفاً جيداً. لقد شيّد الإسلام إحدى أكبر الحضارات في التاريخ في أوربا ذاتها أي في إسبانيا. لقد اشتبك مع الإسلام في مئات الساحات وعلى مدى مئات السنين في الشرق والغرب، وحتى في فترات الضعف الاجتماعي والتفرقة المذهبية والتجزئة السياسية في العالم الإسلامي، أي خلال حقبة الحروب الصليبية، تلقّى الغربُ من الإسلام ضربات قاصمة موجعة، وسحقَ نفوذَ الغربِ الديني إلى الأبد في إيران وما بين النهرين وسورية وفلسطين وحتى آسيا الصغرى والأناضول، وحتى إلى بداية القرون الأخيرة كان الغرب يرى ظلال السلطة الإسلامية ممتدة على أوربا الشرقية، وقواه العسكرية المهاجمة تهدد بريطانيا والنمسا، إلى درجة أنه حتى في القرن التاسع عشر تعرضت فيننا للمحاصرة الإسلامية مرتين. لقد علّمه التاريخُ أن الإسلام ليس ديناً يجمع أتباعه في زاوية معزولة من معابده ويترك الدنيا وما فيها متفرغاً للعبادة والتضرع والمناجاة العرفانية والرياضات والزهد. إنه دين سرعان ما يصنع الحركات ويفرز القوى ويحرر الطاقات ويمنح الوعي الذاتي والصحوة والنباهة ويحفز الحساسية السياسية والمسؤولية الاجتماعية والوعي تجاه المصير،

الواعي أو اللاواعي في صدّ نفوذ الاستعمار وهجماته، الاستعمار الذي يريد استئصال كل شيء وتغييره لصالحه وهدم المجتمع والحياة والاقتصاد والسياسة بسرعة مذهلة وبقساوة وجرأة عنيفة، وفرض نماذجه النمطية ونوع من الحداثة الكاذبة الماحسة الظاهرية بالقوّة والحيلة على كل شيء.

وبالتالي فهو ليس قنديلاً يُعلّق في رواق مسجد. إنه يبث الصخب في الأذهان ويحرّض المظلومين ويطلق روح الإيمان والأمل والشجاعة في ساحات الوغى، فكيف يستطيع الاستعمار الغربي الآن أن يضع أقدامه على أرضه ويتوغّل إلى قلب مجتمعه ويقلب حياته ونظام أمّته وينهب بلده ويحول مدنه إلى أسواق ويجعل من أهله مقلدين فارغين عبثيين بلا قيمة ولا محتوى إنساني، ويدخل إلى قلب أراضيه بطريقة صبيانية غير متدبرة من دون أن يفكّر في أخطار الإسلام الذي تلقّى منه آلاف الضربات الحقيقية على ظهره وخاصرته، وقبل أن ينحّيه عن طريقه على يد أشباه المستنيرين أو يشلّه على يد أشباه الملالي، أو يشغله بأشياء وهمية صغيرة؟

يعلم كلُّ من له أبسط درجة من المعرفة بالخلفيات العلمية — سواء في البيئات العلمية القديمة أو الجديدة — وبكلّ بجلاء أنه في المجتمع الذي يَعتبِر نصفُ أبنائه الدينَ لا شيء، ونصفُهم الآخرُ يعتبرونه شيئاً سيئاً، من أجل قيام ثورة فكرية وروحية ونهضة دينية، ولإحياء الجسد الميت المتفسّخ الممسوخ لثقافة ما، واكتشاف حقائقها التقدمية وعناصرها البناءة الهادية التنويرية التي إمّا بقيت خافية في الماضي محجوبة عن أعين الجيل الحالي، أو اختلطت بعناصر خارجية وأوهام مصطنعة زائفة ومواد سامّة لاحقة، أو أخفيت تحت أستار شعائر وظواهر ومراسم وتشريفات لاشعورية خاوية من الروح والمعنى ومفتقرة للحراك والهدف فدفنت على أيدي المخلصين الجهلة والمدراء الغاصبين المنافقين فنُسيت، من أجل ذلك كله ولإحياء تلك الحقائق من جديد وإعادة طرحها ولكي تجري تارة أخرى في تيار الزمن،

فإن الشرط الوحيد اللازم هو أن يعتقد كل المستنيرين الصادقين المؤمنين الذين شعروا بهذا الانحراف والواعين للمصير الكارثي لهذا الدين في زمانهم، ووجدوا أن مسخ هذه الحقائق مضرّ ومذل ومهول بنفس درجة محوها بل وأكثر بكثير، فصاروا يعانون ويشعرون بالمسؤولية الاجتماعية والإنسانية والعقيدية، ويرون أن هناك من يقارع الدين ليفتح للعدوّ طريق النفوذ والتغلغل، وهناك من يلهي الناسَ بالدين بطرائق عامّية لكي لا يتفطنوا لدخول العدو... أجل، الشرط الوحيد اللازم هو أن يعتقد جميع المستنيرين الواعين المسؤولين أن الحلّ الوحيد لإحباط هذه المفارقة وحلّ هذا التناقض المشؤوم والخلاص من هذه الثنائية المخادعة هو إحياء تلك الروح الباعثة على الحياة والحركة والإبداع، الروح التي صنعت فجأة من الانحطاط والجهل والتفرقة والضعف والأسْر والفقر والخوف والتمييز والخضوع للظلم والعصبيات السفيهة شبه الدينية وعبادة الخرافات والوحشية، صنعت منها فجأة ثورةً وثقافةً وتاريخاً وإنساناً طافحاً بالخفقان والحركة والنباهة والوعي الذاتي، وأشعلت نيراناً من الحبّ الراقي والأفكار والآمال والجاذبيات المعراجية للروح والنهضات العارمة من الجهاد والشهادة والحماس والثورة والرفض، وبالتالي أسّست لحضارة مفعمة بالغنى والاقتدار وخلقت ثقافة زاخرة بالأفكار والنبوغ المذهل البديع، ومشاعر كلها لطافةُ أرواحٍ وعمقُ عقولٍ وإشراقُ قلوبٍ، وجادت على الإنسان بأدبيات مليئة بالجمال الإنساني ومثاليات العدالة والمساواة والوحدة البشرية والتقوى والإخلاص وتجليات العشق والكراهية و...

أجل، هذه المفارقة العجيبة والحرب المفتعلة المفرحة للعدوّ بين شبه رجل الدين وشبه المستنير هي التي قسّمت مجتمعنا نصفين فأخذت نصفاً نحو اللاأبالية وساقت نصفاً آخر صوب التعصب، وباعدت بكل هذه المسافة بين العامّي والعالم العصري، والجامعي وتاجر السوق، والشيخ والشاب، والدارس القديم والدارس الجديد، والعالم الديني والعالم غير الديني، وأوقعت بين هذين الساعدين المنتميين لجسم واحد وهذين الجناحين الخفّاقين في تحليق واحد وأشعلت بينهما الخصام أمام الخصم اليقظ المهاجم المحتال القوي، وشغلتنا في ذروة الحرب بين الشرق والغرب، والمنتج والمستهلِك، والمستعمِر والمستعمَر، والمالك والمملوك، والتخلف والتقدم، بحربٍ بلهاء بين الحديث والقديم، والمتميّع والمتزمّت، وبالتالي غير المتدين والسيئ التدين، والتعصّب شبه الديني الجاهل والتعصّب ضد الديني الأكثر جهلاً، ولأجل إغفالنا عن الواقعيات العينية والأوجاع الحقيقية والقضايا الجادة ذات التأثير البالغ في إيماننا ومجتمعنا ومصيرنا الراهن والمستقبلي، راحت تطرح قضايا فرعية وذهنية وتحريفية، وتلهي وتمتص طاقات دارسينا الجدد بشكل ما تحت طائلة الاستنارة، ودارسينا القدماء بشكل آخر تحت طائلة الشؤون الدينية.

الحل الوحيد هو أن تنفخ هذه الروحُ العيسوية بوعي في هذا الجسد الذي بات نصفه مشلولاً فاسداً ونصفه الثاني فارغاً خاوياً، وفي هذا الدماغ الخالي من الروح الذي «لا يهاجِم إلّا من هواءٍ نسمةً

بعد نسمة»،[1] حتى يعود الجيل الضائع الغريب على نفسه والمنقطع عن كل جذوره المعنوية والثقافية التي تمنح الشخصية الإنسانية لشعبٍ من الشعوب قوامها وقدراتها، إلى نفسه وذاته الثقافية وأصالته التاريخية والأخلاقية، ويصل إلى الذات والوعي الذاتي والنباهة الذاتية، وينتقل إزاء هذا العالم والحياة من هذه العدمية الخطيرة والعبثية واللاجدوى والفراغ الروحي والحيرة واليأس الفكري والفلسفي إلى رؤية كونية ساطعة واضحة منفتحة مسؤولة توحيدية، وليستطيع مقابل غول الغرب المفزع، الذي يضرب بقرونه ويسحر بإغراءاته ويقصفه قصفاً ثقافياً وفكرياً وذوقياً وأخلاقياً شديداً شاملاً ليعمل بعد احتلاله معنوياً وعقلياً، وتفريغه روحياً وإنسانياً، وشلّ قدراته على المقاومة المنطقية وقوة نقده وتشخيصه وتقييمه وفحصه وانتخابه وإبداعه، وبكلمة واحدة ليعمل بعد إسقاطه معنوياً على احتلاله اقتصادياً وسياسياً، وهو ما سيكون عندئذ عمليةً سهلة يسيرة، ليستطيع مقابل هذا الغول وعن طريق استعادة ذاته المتلاشية مجدداً وتجديد حياته المعنوية والثقافية، أن يقفَ ويصمد ويبقى ويقف على قدميه ويجدد إنسانيته المحطمة. من جهة أخرى يبدو الدين في متن المجتمع وعلى النحو الذي يروّجون له وينشرونه عاملاً يشلّ العقل، ويفرغ الذهن، ويسقط الإرادة، ويبعث على اليأس والتشاؤم الاجتماعي والإصلاحي، ويبرر الواقع

---

(١) مصرع لجلال الدين الرومي المولوي: «ما همه شيران ولي شير علم / حمله مان از باد باشد دم به دم» أي: «نحن جميعاً أسودٌ ولكن أسود رايات / هجماتنا من هواء نسمةً بعد نسمة». المترجم.

المعاش، ويدعو للاستسلام والصبر والتحمل، ويعزز عبادة الأوهام والخرافات والاعتياد على المكررات غير المعقولة والعادات والممارسات غير المفهومة، ويثير حالات الخوف والفزع والتزلزل التي لا أساس لها من الصحة، ويحفّز حالات الحقد والعشق غير المثمرة، ويشغل الناسَ بمشاعر الصداقة والعداء الوهمية المعدومة أو المجهولة، وبالتالي يشغلهم بما لا وجود له أو لا ضرورة له، ويغفلهم عمّا هو موجود وضروري، ويكون بالتالي ديناً ينتفع منه ثلاثة: فرعون، وقارون، وبلعم بن باعوراء، أمّا ضحيته فشخص واحد فقط: الناس!

في غمرة مثل هذه الفاجعة، لا يوجد عامل معجز بوسعه استئصال دين التخدير والجهل والفقر والاستسلام من أعماق روح الحياة ومتنها سوى الدين! الدين فقط وفقط! هذه الكلمة المدهشة التي نراها على امتداد الحياة الإنسانية، والتي تحيي وتميت، وتنيم وتوقظ، وتروِّض على القبول بقيود الاستعباد وتحفِّز على التمرد والحرية والعصيان، و... تاريخ البشرية كله قصة جهاد الدين ضد الأديان، وليس جهاد الدين ضد اللادين...

وسيرة الإسلام إنما هي سيرة هذا الدور المتناقض في التاريخ وفي المجتمعات وفي الطبقات الاجتماعية. حرب الإسلام ضد الإسلام، بل القرآن ضد القرآن (في صفين). وكما أن الإسلام المنطقي التقدمي، إسلام الحراك والحياة، لا يُطردُ من ساحات الحياة والأذهان إلّا بواسطة الإسلام المنحرف، إسلام السكون والاستسلام، كذلك سيعلم المستنير الحقيقي

الواقعي إذن أنه وفقاً لهذه الحقيقة لن يكون السبيل لطرد الإسلام المنحطّ المتحجّر من أعماق الأذهان والحياة الاجتماعية سوى نشر وبث وتكريس الإسلام الحقيقي الأول الباعث على الحياة. وهنا نلاحظ أن حاجتنا، حاجتنا الفورية الحيوية الماسة، لا يقدر على إشباعها حقاً ذلك المستنير الذي لا يعرف الإسلام ولا هذا الشبه متدين الذي لا يشعر بالزمان، بل يستطيع إشباعها فقط المستنيرون العارفون بالإسلام القادرون على إعادة ذلك الجيل الفارغ الممتعض المغترب إلى ذاته وربطه بمجتمعه الذي انقطع عنه، ويمكنهم بفضل إعجاز الثورة الكامنة في ذات الفكر والروح الإسلامية الحقيقية استخراج وتصفية كل طاقات الدين الهائلة التي باتت الآن مجمّدة راكدة، والقدرات اللامحدودة للإيمان التي بقيت كما هي مصادر طاقته المادية الثرة إمّا مجهولة مدفونة تحت التراب أو ذهبت هدراً، وتوظيفها في طريق تحريك تاريخنا وروحنا وحضارتنا وأفكارنا وحياتنا.. هذا هو الآن داؤنا وهذا دواؤنا.

ما يجب أن يبدأ وينطلق هو ثورة فكرية وعصر نهضة إسلامي، نهضة ثقافية وعقيدية على أساس أعمق ركائزنا العقيدية وبأغنى تجاربنا وأرصدتنا المعنوية والإنسانية التي نمتلكها، وبكلمة واحدة: بالإسلام! ولا ريب في أن الذين يستطيعون السير في هذا الدرب، ويمسكون الزمانَ العديم الزمام والعديم النهاية الذي أضاع طريقه بعيداً عن مسيرة التاريخ وصار ألعوبةً بيد الزعماء وأصحاب الزمام والزمان، يمسكونه بأيديهم القويّة الواعية، هم من يكونوا أبناءَ هذا العصر والزمان، وهم في الوقت ذاته وعلى حدّ تعبير

شاندل: «مَن يستطيعون تسييرَ تاريخِ شعوبهم بكلِّ تدفقاته واحتياجاته التي بقيت وماتت في الماضي، أو اكتسب تواجداً متجمِّداً متحجِّراً في الحاضر، وصبَّ حياة المجتمع في قالبه فأسكتَ خفقانها ودقّات قلبها، كالنهر في قاع الحاضر والواقع الراهن».

ولكن أين نجد أمثال هؤلاء؟ مكمن الصعوبة في قضيتنا هو أن جامعاتنا ولدت ونشأت غريبة بعيدة عن حوزاتنا القديمة المتوافرة. بل إن ثقافتنا الجديدة لم تسر على طريق تكميل وتتميم ثقافتنا القديمة أو على طريق تغييرها وتطويرها، إنما كانت ظاهرة متنكِّرة لثقافتنا ومتجهة نحو الغرب. لذا عاش هذان الطرفان بعيدين عن بعضهما إلى درجة أن جامعاتنا تجد نفسها وكأنها مثل المؤسسات التعليمية المتأوربة التي تتأسس مثلاً في بلد أفريقي أو أحد بلدان أمريكا اللاتينية من قبيل تشاد أو الكونغو أو بيرو، أي كأنها تأسست في أرض بكر جديدة بلا تاريخ! لا أحد يشعر أن هذه الجامعات وريثة ما لا يقل عن ألف عام من التجارب الجامعية والدراسية والتعليمية المتواصلة. كما أن حوزاتنا القديمة بقيت مغلقة منطوية على نفسها، ولم تفتح نوافذها على النسائم الفكرية والعلمية الجديدة إلى درجة لا يشعر معها أحد أنها كانت لنصف قرن جارة للجامعات، وأن الغرب تقدم من كل حدب وصوب إلى قرب جدرانها. وقد ترك هذا البعاد والاغتراب تأثيرات عميقة في التربية الثقافية والتكوين الاجتماعي لجماعة دارسينا وخريجينا، وأفرز في مجتمعنا مناخين علميين وفكريين أجنبيين على بعضهما بل ومتعارضين، وحصر كلَّ جماعة وفئة في

حدودها الثقافية ورؤيتها الكونية الخاصة. ولأن معرفة الإسلام (الدراسات الإسلامية) لا تزال تتنفس في الحوزات وتعيش في حجرة واحدة مع العلوم القديمة فمن الطبيعي أن يكون دارسونا ومتعلمونا إمّا أصحاب ثقافة أوربية جديدة لا يعرفون عن الإسلام شيئاً أو أنهم تعلموا الإسلام لكنهم غير مطلعين على الرؤية والمنظار ومنهج البحث الحديث وروح الزمان والوضع الراهن في العالم. ولا يستطيع أيّ من هذين أن يكون سبباً في تحوّل يهدف إلى طرح الإسلام الحقيقي في هذا العصر، إنما يستطيع النهوض بهذا الهدف مفكرون مزدوجو الثقافة جامعون للحكمتين يحملون الثقافتين القديمة والحديثة.. وهؤلاء غير موجودين.

ولكن لحسن الحظ، يوجد في كلا هاتين الفئتين (الحوزات العلمية القديمة والخريجين الجدد) أفراد يفكرون بخلاف الروح السائدة في مناخاتهم، وليسوا صناعاتٍ عديمة الإرادة للعوامل الاجتماعية. أفراد لا تصنعهم البيئةُ بل يصنعون البيئةَ. إنهم علماء جامعيون درسوا في أوربا أو في إيران ويحملون الثقافة الجديدة ويتخصصون في أحد الفروع العلمية المعاصرة، لكنهم ليسوا من أولئك المستنيرين المكرورين القوالبيين المصنوعين كلهم طبقاً للنموذج الأجنبي، ويفكرون كلهم بشكل متشابه نمطي، ويستهلكون نتاجات الثقافة الغربية المصدَّرة إليهم ويروّجونها وينشرونها. إنهم لا يغتبطون بأن يكونوا على حدّ تعبير تقي زاده أجانب وشبه أوربيين[1] من قمّة

(1) Assimiles.

رؤوسهم إلى أخمص أقدامهم، بل هم أولئك المستنيرون الذين قال عنهم سارتر «يتكلّمون من عند أنفسهم في العالم الثالث وفي المجتمعات المتخلفة التي لا تفتح أفواهها إلّا بإذن الأوربيين، ولديهم ما يقولونه من أنفسهم مقابل ما يقوله الغرب من كلام مصدَّر إليهم». إنهم يستطيعون أن يفكروا ويروا ويشخّصوا وبالتالي يختاروا. لا يقولون كل ما يأمرونهم بقوله، وليسوا وسائط لنقل المفاهيم الغربية وترجمتها لشعوبهم. إنهم مستنيرون وليسوا شبه أوربيين. تجاوزوا مرحلة التقليد ووصلوا إلى طور الاجتهاد الفكري والعلمي. تعلموا منهج البحث والرؤية العلمية والعلوم العصرية من الحضارة الغربية لكنهم استخدموها لمعرفة مجتمعهم وتاريخهم وثقافتهم. ولأنهم ملتزمون حيال مصير دينهم وشعوبهم، ومن جهة ثانية على معرفة قريبة بالزمان والعالم المعاصر، لذا يحاولون فتح طريق جديد لإحياء المعنوية وصحوة المجتمع وتأسيس رؤية جديدة ونهضة خلاقة مستقلة على أساس الإيمان والثقافة الإسلامية الأصيلة الغنية، ليأخذوا بأيدي الجيل الصاعد المتعلم من حالات الاتباع القردية والعبودية الفكرية والروحية للاستعمار على حدّ تعبير فرانتس فانون إلى هذا الطريق، وأيضاً ليحركوا ويحرروا الجيل القديم الراكد والكتل الشعبية الدينية غير المتحركة من أغلال الرجعية والتقاليد البالية المتحجّرة والتعصبات اللاواعية شبه الدينية وعبادة الخرافات والعادات والأوهام الموروثة التقليدية المنحطة، وليستخرجوا ويغربلوا الطاقة الإيمانية الهائلة التي باتت مجردَ طاقة كامنة متجمّدة استاتيكية تحت طبقات ضخمة من الجهل والانحراف في المعرفة الدينية وتغيير اتجاه الإسلام التقدمي الرائد المتحرك،

يبدّلوها إلى طاقةٍ حيّةٍ بناءة ديناميكية، من أجل أن يكتسب المستنيرون الواعون الإيمانَ وتتحلى الكتلُ الدينية بالوعي الذاتي.

لحسن الحظ، قامت اليوم نهضةٌ بين تلك الفئة التي تسمى المستنيرين ويعيشون بمعزل عن حياة أهلهم وشعوبهم ومجتمعاتهم، ويتشبّهون بالغربيين بشكل مهندم أنيق، ويستهلكون البضائع المعلبة للأفكار والآراء الاستعمارية الغربية، قامت نهضة يمكن تسميتها نهضة تبديل شبه الأوربيين الحداثيين إلى مستنيرين متحضّرين. نهضة تمرد التغريبيين على التغريب ومحاولتهم تحرير شريحتهم التي رصد الاستعمارُ الثقافي أرصدةً ضخمة طوالَ هذا القرن لتكوينها وتشكيلها وإعدادها من أجل أن تكون واسطة تردمُ فراغ الاغتراب والتضاد بين المحليين والغربيين، تحريرها من أصفاد العبودية الفكرية والتقليد والتشبّه بالأجنبي واستئصال مرض عبادة الآخر والتمظهر بالغرب من أعماق أذهانهم وأرواحهم. وقد انتشرت هذه النهضة في كل مجتمعات العالم الثالث وخصوصاً بين زنوج أفريقيا الذين كانوا أكثر من غيرهم ضحايا نهبِ وغارات الاستعمار الثقافي الحديث، وبات مستنيرون حقيقيون مستقلون من أمثال فرانتس فانون، وإيمي سيزير، وجوليوس نيريري، وسنقور، وكنياتا، والنجار، وعمر مولود، و... يمكسون بزمام القيادة الفكرية لهذه النهضة الثقافية الهادفة لإعادة شبه الأوربيين وشبه المستنيرين الحداثيين في المجتمعات المستعمرة في العالم إلى ذواتهم، وأطلقوا ثورةً في كل المجالات الثقافية والمعارف الدينية والرؤية السياسية والإدراك الاجتماعي والآداب والتاريخ والشعر والفنون والأخلاق والعلاقات

الإنسانية وحتى في أسلوب التعقل والفهم الحياتي، ثورةً تدل على كيف أن الجيل الذي راح ضحية المجازر الثقافية والمعنوية التي ارتكبها الاستعمار الغربي فغدا يتفاخر ويتظاهر بالتغريب والتشبّه بالغربيين ثقافياً ويعتزّ بالاغتراب عن ذاته والتقليد الأعمى للأوربيين، وراح يهدم بعصبية عنيفة قاسية ومن دون أن تكون له في ذلك مصلحة أو أجور أو مكافآت، كلَّ قيمه الدينية ومفاخره التاريخية وأصالاته الثقافية والأخلاقية وكل خصوصياته الذاتية التي ينتمي لها من أجل أن يفتح المجال والطريق لوفود القيم الغربية المستوردة. بل إن شبه المستنيرين الذين كانوا عندما يتحلقون حول بعضهم ويستمتعون ويستلذون بإهانة أنفسهم وإذلالها والاستهزاء بدينهم وشعبهم وأخلاقهم وامتهان قيمهم ومقدساتهم وتشويها، ويعتبرون أقوال وأفعال وحتى مفاسد كل أجنبي حجةً بالغةً في هذه الميادين والمضامير، فيستفتونه ويطلبون منه الأحكام والإرشاد، وتحولوا إلى عبيد للأجنبي بلا أجور ولا زاد ولا قوت ولا مكافآت، وانهزموا نفسياً أمام عظمة الأوربي المطلقة وتفوّقه الأكيد، واستيقنوا تفاهتهم ودونيّتهم إلى درجة أن شخصيات كبرى مثل غاندي وطاغور أيضاً راحوا يمدحون المستعمِر الجلاد... كيف تغيّر هذا الجيل فجأةً وبزغت منه وجوه جديدة حطمت بإشراقها المذهل الجرئ ظلمات قرون الاستعمار الطويلة وأنارت بضيائها العالم الثالث؟ كذلك انطلقت في المجتمعات الإسلامية نهضة تحرر واستقلال من الاستعمار الثقافي، وظهر بين الخريجين الجدد والمستنيرين المتأثرين بالغرب مَن تأثر بالموجة الفكرية الداعية للعودة إلى الذات والتي

تكوّنت وانتشرت بين المستنيرين والكتّاب والفنانين والمفكرين في العالم الثالث، وضمّ صوته إلى أصوات أمثال إيمي سيزير وفرانتس فانون و... .

كما انطلقت موجات بين المفكرين والكتّاب الواعين تأثروا بالقادة الروّاد الذين هبّوا في مجتمعات إسلامية قبل سنين من نهضة أمثال فانون وإيمي سيزير لمناهضة الهيمنة الغربية فكرياً وثقافياً، وعرفوا قبل الآخرين الوجه الثقافي الحقيقي للاستعمار السياسي – العسكري المهاجم الناهب المتحضّر، وضمّوا أصواتهم لأصوات السيد جمال في تأسيسه النهضة السلفية، والشيخ مُحَمَّد عبده بتفجيره ثورة ثقافية مبتنية على أساس عودة علماء الإسلام إلى القرآن، وبالتالي العلامة مُحَمَّد إقبال بإطلاقه الفلسفة «الذاتية» ودعوته كل المفكرين الدينيين إلى «تجديد صرح التفكير الديني»، ممن حاولوا إيقاظ وتوعية المجتمعات الإسلامية النائمة المفرَّغة من محتواها. خلافاً لما قد يشعر به مستنيرون قوالبيون سذج من ظاهر هذه التعابير، لم تكن نهضة السيد جمال، والشيخ عبده، والعلامة إقبال، و... نهضةً ماضوية وعودةً قهقرائية وحركةً رجعية، بل على العكس تماماً، فقد كان هؤلاء أول من استخدم العلوم الحديثة وأشركوا روحَ الزمان والرؤية العلمية الحديثة وتوظيف الحضارة والثقافة الأوربية الجديدة في المناخات المغلقة للبحوث الدينية والعلوم الإسلامية، وكانوا قادة تقدميين تجديديين في الميادين الثقافية القديمة، شأنهم في ذلك شأن مستنيرين من قبيل فانون وسيزير ونيريري و... دعوا للعودة إلى تقاليد مجتمعاتهم وثقافاتها وفنونها.

هذه النهضة التي قامت في المجتمع الإسلامي منذ قرن من الزمان وبدأت ثانية في الأعوام الأخيرة بين مستنيرين جدد، مع أنها انطلقت من قطبين بعيدين غير متشابهين، لكنها تسير اليوم في طريق واحد ولها مسار وهدف واحد، ويشعر فيها المستنيرون الذين وصلوا في هذين القطبين المتباعدين بوعي ذاتي مشترك متشابه ويؤمنون طبعاً بمسؤولية فكرية واجتماعية واحدة تقع على عاتقهم، يشعرون تلقائياً وبشكل طبيعي بضرورة التنسيق والمواكبة في هذا الدرب أكثر من السابق، ليستطيعوا بمعونة بعضهم بعضاً إحياء ما نخرته الرجعية الداخلية والاستعمار الثقافي الخارجي وسلبته الحياة والحراك، وهو في المجتمعات الإسلامية الإسلامُ ليس إلّا.. الإسلام الذي صنع وصاغ تاريخ هذه المجتمعات وثقافتها وروحها الاجتماعية وكل مؤسساتها وقيمها الإنسانية.. الإسلام لا فقط لأنه دين مجتمعنا وصانع تاريخنا وروح ثقافتنا وضميرنا القويّ والعروة الوثقى لنظام مجتمعنا، وأساس أخلاقنا ومعنوياتنا، وبالتالي لا فقط لأنه ذاتنا الإنسانية، ويجب طبعاً العودة إليه في الكفاح المعنوي والثقافي ضد الاستعمار الثقافي الغربي، والهروب من عبادة الأجنبي وانعدام الشخصية وعدم الاستقلال المعنوي والوقوف على أرجلنا والتحلّي بالنباهة والوعي الذاتي الإنساني وتجديد الأصالات التاريخية والثقافية والفكرية، وملأ الفراغات والثغرات الثقافية الراهنة بثقافته وأفكاره وروحه المعنوية الثرّة الغنية، والتسلّح به في الحرب ضد محاولات الاستعمار هدمَ ثقافتنا، بل إننا نعتقد، وهذا هو أيضاً رأي وتقييم كثير من المفكرين الخبراء بالإسلام من غير المسلمين ممن نظروا

للإسلام من حيث قيمه الإنسانية فقط، أنه دينٌ متعال على التاريخ ومافوق القوميات والأوطان، وهو على حدّ تعبير إرنست رينان المفكر والكتاب الفرنسي المعروف بمناهضته للدين في القرن التاسع عشر: «دينُ الإنسان»، وأكبر عوامل المقاومة والتمرد وطلب الاستقلال ضد الاستعمار باعتراف قادة الاستعمار الأوربي السياسيين والعسكريين.(١)

وعليه، فإننا لا من أجل إحياء مجتمعنا وحسب، وليس من أجل تحريك الكتل الشعبية الراكدة فقط، وليس بهدف تحقيق الاستقلال للجيل المنهزم نفسياً والخاوي والمتشبّه بالأجنبي، وبالتالي ليس من أجل توصيل العرى التاريخية والثقافية التي انفصمت بمساعي الاستكبار الثقافي العالمي وحسب، يجب علينا كما ذهب المستنيرون التقدميون في العالم الثالث، أن نتوكّأ عليه كتراث اجتماعي وتاريخي وكعودة إلى أصالتنا وشخصيتنا الإنسانية والثقافية، ولا بد لنا من الاعتصام بهذا الحبل المتين مقابل الهجمات العاتية القاسية التي تشنّها علينا القيم الغربية المصدَّرة ومقابل العواصف والأعاصير المشؤومة المدمِّرة التي تهبّ علينا من كل حدب وصوب، لنستطيع بذلك البقاء والوقوف على عمود فقرات واقعنا الإنساني، بل حتى بغضّ النظر عن هذه المصلحة الفورية الحيوية، ينبغي علينا اعتبار الإسلام حقيقة يمكنها الاستجابة لاحتياجات الإنسان وأسئلته الفلسفية واضطراباته وشكوكه العقيدية الخطيرة والاهتزازات العنيفة

---

(١) راجع: «أبي.. أمي.. نحن متهمون».

التي تشهدها القيم الأخلاقية راهناً والآلام والتناقضات والتمييز والآفات الاجتماعية التي نعانيها. ويجب أن يكون له دوره في خضمّ البحث الملتهب المهيب الظامئ الذي تخوضه الروح في هذا القرن، والأزمة الحالية التي يمر بها الضمير البشري، والطريق المغلق المرعب الذي تواجهه الحضارة المعاصرة، وبالتالي في غمرة مساعي الإنسان الحديث الذي انهار وركع وهو في ذروة اقتداره، ومع أن تقنياته وصناعاته بلغت عنان السماء لكنه لم يصل على الأرض لسوى العبثية واليأس واللاجدوى، وفي حين خسر إيمانه بكل الأديان والمذاهب القديمة والمدارس الجديدة فإنه يرى نفسه أكثر من أيّ وقت مضى بأمسّ الحاجة وبأشدّ التعطش للإيمان، ومع أنه في أوج الاقتدار العلمي لكنه يلهث ظامئاً قلقاً وراء عقيدة، يجب أن يطرح الإسلام في مثل هذه الظروف كرؤية كونية عقيدية منفتحة وعميقة وواقعية، وكنظام حقوقي متطور تقدمي أثبت قدرته على التجلّي والتألق في ظروف محيطية وزمانية متغيرة، وكفلسفة تاريخية علمية مبتنية على الوحدة والحتمية العلمية العامّة والتفاؤل الإيجابي الإنساني التاريخي والانتصار الحتمي للطبقة المستضعفة المحكومة، وكرؤية اجتماعية تقدمية شعبية تؤمن بأصالة العدالة والمساواة والقيادة الملتزمة، والتناقض الحتمي بين القطبين الاجتماعيين: الحق والغصب، والأصالة وملكية المجتمع، و...، وبالتالي كفلسفة أنثروبولوجية تقدمية تؤمن بأصالة الإنسان (الأومانية) وتحلّيه بذات إلهية ومواهب متعالية على المادة، وبمسؤوليته العالمية والأمانة الإلهية الملقاة على عاتقه، وتعترف بتكامله الأبدي اللانهائي، وادعائه الرقيّ والعروج إلى الله عن طريق

الطبيعة والواقع والسيطرة على المادة واستخدام القوى الطبيعية، وأخيراً رفض كل القيم العرقية والعنصرية والقومية والعائلية والتقليدية، والتأسيس لأمّة إنسانية كبيرة على الأرض تقوم على أساس المساواة الاقتصادية والإنسانية وبمثل إلهية سامية و... ويمكنه أن يمثل في العصر الراهن أيديولوجيا واتجاه وهداية إيمانية وتفسير معنوي للعالم، وبالتالي إجابة عن أهمّ سؤال يعتمل في الروح المأزومة للإنسان المعاصر.

ما الذي يجب فعله الآن؟

لا تزال الأجواء التنويرية في مجتمعنا، أعني الأجواء الخاصّة بخرّيجينا ودارسينا الجدد، متأثرة أشدّ التأثر بالمناخ الفكري والذوقي الغربي. لا يزال استقلالنا الثقافي والعلمي عن العالم الغربي غير خارج بعد عن طور الطموح البعيد. جامعاتنا ومؤسساتنا العلمية والتعليمية وعالم المطبوعات والمناخ العقيدي والروحي والأخلاقي لكتّابنا ومترجمينا وشعرائنا وفنانينا وعلماء اجتماعنا ومتخصّصينا في العلوم الطبيعية والإنسانية، لا تزال تحتفظ بخصوصيتين قديمتين بارزتين من خصوصياتها: «الاغتراب عن الذات»، بل حتى بعض تجليات الامتعاض من الذات، ومن دين الذات وثقافتها وبصيرتها وشخصيتها المعنوية، والانشداد والتبعية الشديدة الواهة للغرب بل حتى التظاهر والتفاخر بالتغريب والحداثة القبيحة العديمة الجذور.

في مثل هذه الأجواء التي يتنفس فيها الجميع هواء الغرب، ولا يستهلكون سوى البضائع الفكرية والأخلاقية والذوقية المستوردة من

الغرب، وغالباً ما يجلسون مقابل الهجمات الثقافية الأجنبية بأيدٍ وقلوب فارغة بل ومحتاجة، هناك فئة قليلة تقف وتتألم وتحاول بدوافع صميمية أن تعمل وتُسلِّح وتجهِّز جيلها المنزوع السلاح وتخلق فيه إيماناً شاباً قوياً وبصيرة مستقلة تقدمية، وأن تملأ بأرصدتها المعنوية والثقافية الحقيقية الثغرات العقيدية والثقافية المحيطة بها، ومقابل النتاجات المصلحية للأجهزة الإنتاجية الغربية، والتي تفد وتُستورَد بلا توقف من كل مكان على شكل رزم متنوعة من كتب وترجمات وأفلام وإذاعات وتلفزة ومسرح وفنون وصفوف ومعاهد ونوادٍ وموضات و...، وتُستهلَك بكل تعطش وظمأ، تحاول مقابل كل ذلك أن تفجّر ثورة متجذرة أصيلة من معرفة الذات وبنائها والتدفّق الذاتي الفكري والعقيدي، وتوفر القدرة على الإنتاج الفكري والقابلية للتشخيص والاقتباس والانتخاب، وهي السمات الإنسانية للمستنير الحقيقي بين شبه المستنيرين المتشبّهين والمقلدين الذين سلبوهم كل ذلك.

أجل.. ألن يبقى هؤلاء المستنيرون الحقيقيون الذين وصلوا طور النباهة والوعي الذاتي وشعروا في مثل هذه الظروف والزمان بمسؤوليتهم النبوية، غرباء في قومهم كما بقي الأنبياء؟ هل سيصل نداء دعوتهم إلى سمع أحد في غمرة هتافات هذا العجل المدوّية في العالم كله، عجل الذهب والصناعة والفن السامريّ لهذا القرن، والذي جعل الشعوب ألعوبة بيده؟ ألن تبقى مديات جهادهم الفكري والعقيدي الصعب محبوسة داخل جدران أربعة ضيقة وعدة صفوف وكتب وبضع مقالات أو محاضرات؟ هل بوسعهم أن

يفعلوا شيئاً بعيداً عن بعضهم وبشكل متفرق ومنفرد، ومن دون برامج أو إمكانيات ضرورية للعمل، ومِن دون مَن يواكبهم ويشاطرهم الأفكار؟

ثم إن فئة الخرّيجين الجدد المستنيرين منا، كما يسمَّون، يعيشون أساساً على هامش المجتمع، ولا صلة لهم بمتن المجتمع والناس. إنهم حبيسو أسوارهم الذهنية والفكرية والذوقية وحتى الاجتماعية. ولهم لغتهم وأخلاقهم وفنونهم وأدبياتهم وروحهم وثقافتهم وسلوكهم الاجتماعي وحسّاسياتهم ومثالياتهم الخاصة التي لا تشبه ما لدى الناس العاديين. هؤلاء المفكرون المبدعون الواعون الذين يحاولون إيجاد ثورة عميقة في أسلوب تفكير وتبصّر مجتمعهم وضميره العقيدي والاجتماعي، هل يمكنهم أن يغتبطوا ويفرحوا لأنهم أثروا في شريحة محدودة من الخريجين وأصحاب الشهادات؟ وأن يشعروا بالنجاح لأنهم عبّروا عن تصوراتهم في ثنايا دروسهم وصفوفهم وأوجدوا تحوّلاً في أفكار طلّابهم؟ أو أنهم نشروا مقالاً علمياً في مجلة تنويرية سيفهمها القراء والدارسون من أهل القراءة؟ ونشروا كتاباً سيقرأه قراء الكتب؟ وألقوا محاضرة يستمع لها الفضلاء، وبالتالي سوف ينشدون قصائد شعرية يخفون فيها تحت أغطية الرموز والغموض الشاعري وتعارضات وتعميات آلاف الفنون والأساليب الخادعة من استعاراتٍ وكنايات ومجاز وإشارات مقنعة بعيدة المنال، وسيكون هناك القليل من خبراء اللغة والأدب وأهل المعنى والمشاعر والعواطف والذوق والهموم ممن يدركونها؟ إطلاقاً!

المستنير يختلف عن الفيلسوف والعالم والأديب والفنان، مع أنه غالباً ما يكون أحد هؤلاء. وعلى حدّ تعبير شاندل: «الاستنارة نوع من النبوة،

والمستنيرون من بعد الأنبياء هم من يواصلون طريق الأنبياء في التاريخ. المستنير إنسان واع بعث لقومه ليهدي الناس نحو الوعي والحرية والكمال الإنساني، ويعينهم على الخلاص من الجهل والشرك والظلم». لذلك فالسمة المميزة للمستنير هو طابعه الاجتماعي وعيشه مع الناس وإلى جانب الناس وشعوره بالالتزام والمسؤولية حيال مصير الشعب الأسير أو الطبقة المستضعفة. المستنير على حد تعبير شاندل رسول لا يوحى إليه لكنه يحمل على عاتقه رسالة الوحي. والرسل والأنبياء بدورهم غير الحكماء والأدباء والعلماء والعرفاء والزهّاد والفنانين. كان بوسعهم أن يلوذوا بزاوية في جبل، أو جانب من صومعة أو معبد، أو حجرة من حديقة الأكاديمية أو المدرسة، أو ركن من المكتبة، أو خلوة في منزل، ويعيشوا في خلوة مع أنفسهم أو مع ثلة قليلة من أشباههم بعيداً عن الناس، وعلى هامش المجتمع، وفي غفلة من مصير الناس وماضيهم وواقعهم واحتياجاتهم وأوجاعهم وهمومهم، عاكفين على مشاغلهم وانشغالاتهم الذاتية، فيكون الواحد منهم فيلسوفاً كبيراً أو راهباً ورعاً أو عارفاً عابداً أو فناناً نابغة، لكن الرسول ما إنْ يبعث حتى يتموضع وسط الناس في قلب المجتمع. يأمره الوحي أول ما يأمره أن انبذ عنك بساط العزلة الفردية واخلع جبّة الحياة الشخصية والعيش الخاص والعائلي والفئوي، وانهض وسط جموع الناس وبينهم فانذر وبشّر وهاجم مظاهر الكذب والجهل والخرافة وحطّم الأصنام الكاذبة التي نحتوها لأنفسهم، وقل لكتل الجماهير والمستضعفين والعبيد والفقراء والمحرومين والبؤساء اليائسين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة،

وبشّر المسودين الضعفاء أن الإرادة الإلهية ضمنت لهم خلافتهم وزعامتهم للعالم ووراثتهم للأرض. أؤمر بالمعروف وانه عن المنكر، وانقذ الأسرى من سلطة الجبابرة: فرعون وقارون والسحرة والرهبان المحتالين على العوام، واهدهم صوب الانعتاق والأرض الموعودة، أرض الحرية والعزة والعدالة، وبالتالي ادعو الناس ليخرجوا من عبودية الأرض إلى سموّ السماء، ومن عبادة الأفراد إلى عبادة الله، ومن ظلم الأديان إلى عدل الإسلام...

الأمّية من معانيها أن يكون الإنسان شعبياً، وأن ينهض من بين الأمّة ويعيش بين الأمّة وإلى جانبها. هذه هي الميزة الاجتماعية للأنبياء، والمستنيرون ورثة الأنبياء لا يمكنهم أن يخفوا أنفسهم عن الناس في أبراج عزلتهم العاجية على حد تعبير الغربيين، وأن يكمشوا أرجلهم داخل بساطهم ويلفّوا أنفسهم في جببهم. بوسع إفلاطون أن يهجر الناس في حديقة الأكاديمية وينصب لوحة تقول: لا يدخل هذه الحديقة مَن لا يجيد الهندسة! ولا يتكلم إلّا مع عدد قليل من النوابغ المفكرين الخبراء في الهندسة عن الجمهورية والمدينة الفاضلة والأمثال والأشعار والحقيقة والباطل والأخلاق والعدل والشجاعة، ولا يكون له شأنه بأن آلاف العبيد في أثينا أغنوا ثلاثين عائلة نبيلة يقول عنها أرسطو إن أفرادها هم وحدهم في كل العالم ومن بين كل البشر من عجنوا النجابة والفضيلة بدمهم دوماً، أغنوهم عن الأنعام الحمّالة للأثقال! لكن مُحَمَّداً (ص) لا يسعه ذلك. لقد قضى عمره كله إمّا راعياً وحيداً في الصحراء، أو عاش حياته اليومية في بيت خديجة، أو مفكراً في غار حراء البعيد، ولكن ما إنْ بعث حتى هبط من

أعالي جبله الصامت البعيد مسرعاً، وقام في قلب مدينته ووسط حشود قومه وعلى مرتفع الصفا ومقابل دار الندوة وفي مجالس الأشراف والنبلاء من قومه وأمام المعبودات الكاذبة لمجتمعه هاتفاً، وخرج من بين جدران منزله وسكن المسجد وفتح باب غرفته على المسجد.. بيت الناس. ومعنى ذلك أنه خرج من بساطه وفراشه ودثاره الذي لفّع به نفسه كما يفعل الآخرون، وأنه مبعوثٌ أمينٌ أميّ ورسول وحامل رسالة ونداء!

واليوم أيضاً بوسع العالم والفيلسوف والزاهد أن يغرق في مشاغله في زاوية محراب أو مدرسة أو مختبر أو صفّ أو خلوة بيت أو معبد بعيداً عن الدنيا وما فيها. لكن السيد جمال لا يمكن أن تستئنس نفسه للانشغال في حجرات العلم وزوايا العبادة بالكشوف والكرامات العرفانية ومقامات الزهد والرياضة والتحقيقات العميقة والتمحيصات الدقيقة في الكلام وأصول الفقه والأدب والحكمة. وإقبال اللاهوري لا يسعه بعد حيازته شهادة دكتوراه في الفلسفة وعودته من بريطانيا أن يلفّ نفسه في دثار فيلسوف عالمي عميق ويتمدد على بساط أستاذ جامعي عالم، ويجمع حوله طلبة الكلية والفضلاء والعلماء والنخبة من مجتمعه، ويعتزل في زاوية تحت خيمة سوداء هي خيمة الاستعمار البريطاني للهند، ولا يرى عبادة قومه للبقر، ويحلق بأجنحته الذهبية وعلومه ومعارفه الجمّة مع سقراط وأرسطو وإفلاطون وابن سينا والملّا صدرا وجلال الدين الرومي المولوي في أعالي السماء ورحاب الفلسفة، ويغتبط لجولاته في مصارعة أرسطو، وتسجيله مئات الملاحظات على ابن سينا، وكتابته حاشية على الأسفار، وانتصاره

على كبار الفلاسفة الأوربيين بسلاح العرفان العظيم، وتبديده إشعاعات كانط الألماني وديكارت الفرنسي بأنوار شمس التبريزي والملّا الرومي الباهرة، وتوصله لحقائق لا يفهمها أحد للأسف، فلغته لا يستوعبها هؤلاء الناس الهنود الأمّيون ولا المسلمون الشرقيون المتخلفون، فما يفعل بالتالي؟ إمّا أن يبقى في زاوية عزلته لا علم له بالناس ولا علم للناس به، غارقاً في جذباته وخلساته واستغراقاته الفلسفية وكشوفه وشهوده العرفاني، أو يغادر البلاد و«يأخذ جواهره إلى تاجر آخر يشتريها»![1]

إنه فيلسوف نابغة ويعيش في مجتمع أمّي متخلف لا يستطيع استيعابه وإدراكه، لكنه مع ذلك لا يعتزل ولا يتخفّى، لأنه في الوقت ذاته مستنير. إنه مبعوث لنفس هؤلاء الناس. فلسفته «الذاتية» ليست نظرية فلسفية تخصصية، بل هي روح ثورية يجب أن تنفخ في جسد المجتمع. التحول التنويرى لا يمكنه إطلاقاً أن يبقى محصوراً في أسوار المتعلمين والخرّيجين الضيقة. ينبغي على المستنير أن ينزل من برجه العاجي إلى الناس ليكون بينهم، فكما يقول شاندل: «عندما لا يكون هناك ناس فالتحدث عنهم إمّا كذب أو عبث». الذين يتحدثون في مقاهي شمال طهران وفي ملتقيات المستنيرين الراقية عن الناس والمجتمع والاستعمار والبلدان المتخلفة والعالم الثالث وغير ذلك ويتفضلون باكتشافات عميقة ونظريات بديعة، قد يكونوا كلَّ شيء: علماء اجتماع، علماء إنسان، علماء جغرافيا،

---

(١) مصرع شعري لحافظ الشيرازي.

سياسيين، علماء، فلاسفة، كتاباً، فنانين، و... الخ، ولكن مستنيرين؟ إطلاقاً!

لذلك لا يستطيع ذلك العدد القليل من الأفراد الذين وصلوا إلى الوعي الذاتي والنباهة والاستنارة من بين شريحة الجيل المتعلم المتشبّه المنفصل من مجتمعنا، لا يستطيعون البقاء محبوسين في إطار فئتهم وشريحتهم كما كانوا في السابق. الالتزام الاجتماعي ذاته والذي يعد سجيّة ذاتية للاستنارة يفرض عليهم إمّا أن يمدوا أرجلهم أكثر من بساط مصالحهم الشخصية والفئوية، أو أن يمزقوا عن أجسادهم جبب الأستاذية والعلّاميّة وشعارات ودثارات الكاتب والجامعي والمتخصص والعالم والمترجم والمحقق والفيلسوف وعالم الاجتماع والفنان و... التي تدثروا بها وأخفوا أنفسهم فيها عن أنظار «العوام من الناس» و«أهل السوق» لكي لا تهبط مرتبة حرمتهم العلمية وجلال مكانتهم الجامعية وشأن استنارتهم الرفيع، ولكي لا يكونوا سهلي المنال متوفرين في متناول أيدي الناس وأرجلهم، ويخرجوا كما خرج الأنبياء من كهف عزلة أفكارهم العلمية وينزلوا من القمم العالية لمراتبهم المهنية، ويجلسوا على الأرض كما كان يفعل رسول الإسلام فيأكلوا ويشربوا كالعبيد ويعلموا أنهم عبيد، ويجالسوا في الأزقة والأسواق الناسَ الذين يسمّون «عواماً كالأنعام» ومنهم خرجت وأشرقت أطهر الشخصيات الإنسانية، وينزلوا من أعالي عروش كبريائهم العلمية وقمم نبوغهم الرفيعة ليلقوا بأنفسهم بين أيدي هؤلاء الناس الجهلة وتحت أرجلهم، ويصبروا على انحطاط شأنهم وهتك حيثيتهم والسباب والشتائم والافتراءات والإهانات

والتزوير والكذب والمؤامرات والشقاوات من ممثلي كلا المشهدين المتناقضين في هذه الحرب المفتعلة، ويسمعوا ألف نقد ونقد ومؤاخذة وإشكال وصراخ وقيل وقال وتصريحات علموية بحثوية من مرضى عقدة الشهرة والحسد والدونية الذين لم يُقبلوا في صفوفهم حتى كتلاميذ أغبياء، أو من أفراد عوام جهلة لم يسمعوا حتى بالمصطلحات الشائعة في حقل معرفي واحد، ويعجزون عن قراءة جملة واحدة من كتبهم بالفارسية، والنابهون منهم يقرأون العبارة الفارسية السهلة البسيطة التي يقرؤها بكل وضوح كل تلميذ ابتدائية بتعثّر ويفهمونها بمزيد من التعثّر، يتحملون كل هذا ويصبرون عليه ولا يشتكون ويواصلون عملهم بجدّ واجتهاد!

أجل، هؤلاء المستنيرون الحقيقيون الذين يريدون إطلاق ثورة فكرية وعقيدية في مجتمعهم وتغيير الرؤية الكونية والبصيرة العلمية والاتجاه الروحي لجيلهم، وإطلاق موجة عاتية من الإيمان الديني المعقول المنطقي في هذا الفراغ العقيدي بل الكراهية الدينية والانبهار بالاستعمار، ورسم الملامح الحقيقية للإسلام المنسي في هذه البيئة الغريبة وتبليغ رسالتهم النبوية للناس والشروع بنهضة إسلامية وإصلاح تقدمي منطقي ديني في مجتمعهم وعصرهم، كيف يمكنهم أن يعملوا بهذه الطريقة المتفرقة المشتتة المتفردة المنفصلة عن المجتمع والمحبوسة في حدود شريحة محدودة من جيل منفصل منقطع هو الجيل المتعلم الجديد الذي يعيش بين الناس وإلى جوارهم وكأنه أقلية عرقية أو دينية؟ عن أيّ طريق يستطيعون تركيز مساعيهم وجهودهم المتفرقة؟ وبأية وسيلة يريدون منح خدماتهم المتنوّعة اتجاهاً مدروساً؟ ما هي

المشاريع التي خططوا لها من أجل نشر أفكارهم بين جيل الشباب؟ بأيّ سلّم يريدون الهبوط من برجهم العاجي، وما هو الجسر الذي يريدون مدّه على الخندق العميق الواسع الذي يفصل الناس عن المتعلمين والخريجين؟ وبالتالي ما الذي يريدون فعله؟ وما هو جدول أعمالهم؟ وما هي الإمكانيات المتوفرة لديهم؟ على ماذا يريدون التوكّؤ والاستناد؟ من أين وكيف يريدون البدء؟ والأهم من كل ذلك ماذا يستطيعون أن يفعلوا لهؤلاء الممثلين البارعين المتمرسين الذين يمثلون دور المستنيرين ولهذه الأيدي القوية الثرية المغرية للاستعمار الثقافي التي تدار من خلف الستار وتقدم بكل مهارة مسرحية شيقة باهرة مليئة بالإثارة والألوان والتنوع، ألا وهي مسرحية «الاستحمار الجديد»؟

من جهة أخرى هناك الناس شبه المتدينين، ودينهم، ومرض الجهل، وممثلوهم الأكثر تمرساً وإدهاشاً و«الاستحمار القديم»! تلك الفئة التي وصلت إلى النباهة والاستنارة في مثل هذه البيئة وبأرصدتها من المعارف الإسلامية والإيمان الديني القوي الباعث على المسؤولية، وبعثتهم معرفتهم التقدمية للثقافة الإسلامية ورؤيتهم المنطقية للإسلام لهداية الناس وتنويرهم، وأعني بهم علماء الإسلام والفضلاء، هؤلاء يتحملون مسؤوليات أثقل. كما أن دور الممثلين المزيفين شبه الدينيين الذين يدارون من وراء الستار بالأيدي نفسها أصعب من نظرائهم على خشبة المسرح المقابلة كذلك مسؤولية المستنيرين الدينيين في الحوزات العلمية الإسلامية في بيئة ليست خالية من الإسلام بل مليئة بالإسلام الكاذب الممسوخ أصعب وأثقل

وأخطر من نظرائهم ورفاقهم في الطرف الآخر. مهمة أولئك الجهاد في أرض الكفر ومهمة هؤلاء السعي في أرض النفاق! أعداء أولئك إمّا عُزّل لا شيء في أيديهم أو أنهم يحملون في أيديهم اللات وهبل، فالصفوف واضحة متميزة والحدود مرسومة مشخصة، وبين الجانبين خندق يفصل بين الإسلام والكفر، وبين المسلمين واليهود، وبين الموحدين والمشركين، و...، أما هنا فيجب على هؤلاء أن يشهروا سيوفهم في وجه قوم إذا كانوا هم يحملون المصاحف بأيديهم فإنهم يرفعون المصاحف على الرماح والرايات! قوم تصدر من خيامهم زمازم الدعاء والصلاة وذكر الله وتلاوة القرآن والأذان والمناجاة كأصوات الزنابير! عندما يتسلح أبو سفيان بالإسلام سيبقى مُحَمَّد (ص) بلا سلاح! وحين يترك عمرو بن العاص اللات والعزى ويرفع القرآن ينهزم عليّ بن أبي طالب في صفين وهو فاتح الخندق!

ماذا نفعل إذن؟

الأهداف:

١ – يجب أن يجتمع المتدينون والأحرار من هذا المجتمع حول بعضهم، سواء هؤلاء الذين وضع الوعي والإنسانية على عواتقهم مسؤولية خطيرة هي مسؤولية توعية الناس وهدايتهم، أو أولئك الذين وضع إسلام مُحَمَّد ﷺ المنقذ ومدرسة عليّ عليه السلام المنادية بالعدالة على كاهلهم أعباءً ثقيلة هي أعباء الدفاع عن المعنوية والثقافة والرسالة الإلهية وحراسة القيم الحقيقية وأصالات الإسلام والإنسان الإلهية.

٢ – يجب أن ينقذوا الناس من هذين الفخّين الخادعين الذين وضعتهما يدٌ واحدة في طريق أفكارهم وإيمانهم ومصيرهم، حتى لا تقع كتل الشعب باسم الدين ألعوبة بيد الجهل والخرافة والحيل الضارة أو غير المثمرة الذهنية والعاطفية والتقليدية، ولا يكون مذهب الحق واليقظة والحركة والعزة أداة بيد الكذب، وعاملاً من عوامل السبات والجمود والذلة، وليكتشف جيلنا الشاب المستنير هذا الواقع السلبي السيئ الذي خلعوا عليه اسم الدين فلا يهرب من الدين، ولا يقع في هروبه هذا في الفخّ الذي نصبه له صيّادو التغريب والتقليد القردي الأعمى للغرب والأجهزة الدعائية للقوى العالمية المهيمنة والاستعمار الثقافي، ولا يعود في غمرة هذه الشبكات العنكبوتية المعقدة من الثقافة الاستعمارية فارغاً خاوياً عبثياً عديم القدرة على التشخيص والانتخاب، وبلا مقاومة وبلا أصالة إنسانية وثقافية وبلا هوية تاريخية ومعنوية، وعلى شكل كائنات مروَّضة للآخرين ومستهلِكة لكل ما يوضع أمامها من بضائع ذهنية واقتصادية.

٣ – لحد الآن كان الغرب هو الذي يعرِّف العالمَ لمستنيرينا ومتعلمينا الجدد، وكان هو الذي يتحدث لنا عمّا يسمى الحضارة والثقافة. كان الغرب هو الذي يوضّح لنا الإنسانَ والشرقَ والغرب والعلم والدين والفلسفة والتعليم والتربية والنظم الاجتماعية والاقتصادية والقيادة السياسية وأساليب الحياة والأخلاق الحديثة والآداب والفنون وعلم الجمال و... وكل جوانب الحياة الإنسانية وأبعاد الحياة الاجتماعية. وكان يفسّرها ويصورها

لنا كما يفكر هو وكما يريد هو. بل ماذا أقول؟! حتى ديننا وتاريخنا وآدابنا وفنوننا ومفاخرنا الإنسانية وشخصياتنا الكبرى في الماضي والحاضر وقيمنا الإنسانية، كان هو الذي يشرحها لنا، ونحن من أجل معرفة أنفسنا ومشاهدة ملامحنا التاريخية والإسلامية والمعنوية بقينا ولا نزال نسمّر الأعين والآذان على هذا «المعلّم المطلق». ومفكّرونا وقراء الكتب منا وعلماؤنا وباحثونا وحتى كتابنا العاملون في المجالات الإسلامية والشعر الفارسي كلهم مستهلكون للبضائع التي تصدِّرها ماكنة الغرب الثقافية، وباحثونا أيضاً مترجمون لهم!

لذلك يقول سارتر في مقدمته لكتاب فرانتس فانون عن لسان الغرب: «كنا نأتي بشباب من آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ونتجوّل بهم لمدة في باريس ولندن وبلجيكا وأمستردام، ونعلمهم اللغة والتصرفات والحركات الاستعراضية الأجنبية وما يحتاجونه لكي يكونوا وسائط عمل وناقلي ما نريد نقله للعالم الثالث، ثم نعيدهم إلى بلدانهم، ونقذف من هنا كلمات فتتلقفها على الفور أفواههم في أقصى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وتعيد إنتاجها وترجمتها للمحلّيين هناك بلغاتهم!»

الآن يجب أن نكتسب القدرة والجرأة على أن نتكلم نحن بأنفسنا ونقول كلمتنا. وعلى حدّ تعبير سارتر لا نتقيأ ما يأكله الأوربيون، ولا نعيد أفكارهم وتجاربهم على أنفسنا وعليهم.

٤ - «لنعد إلى ذاتنا»[١]

(١) الشعار الذي رفعه في الآونة الأخيرة مستنيرون زنوج (إيمي سيزير، وفانون، وسنقور، ونيريري، وكاتب ياسين، وكنياتا، وعودة، و...) هو العودة إلى التراث والاعتماد على الثقافة الوطنية والموروث التاريخي كموقف وجبهة ضد الغرب الذي يعتبر الزنوج عرقاً غير قادر على صناعة الثقافة، ومجرد عمّال في الحضارات، أو مستهلكين لثقافات الآخرين، وليسوا صنّاعاً لثقافة! وبالتالي فاليوم أيضاً ينبغي أن يكونوا عمّالاً في الحضارة الغربية ومقلدين للثقافة الغربية! وعليه فشعار المستنيرين الزنوج الذين يحاولون بناء صرحهم الثقافي مقابل الغرب، ويعودون لأجل ذلك إلى تراثهم وتاريخهم، هو شعار تقدمي رفعه المرحوم جلال آل أحمد لمجتمعنا في «نزعة التغريب».

لكننا نعتقد أن الغرب لم يعتمد حيالنا نحن الإيرانيين والمسلمين أسلوب التنكّر لثقافتنا وتراثنا حتى نعمل في مقابل ذلك على تكريسها وإثباتها، إنما توكّأ عليها توكّؤاً شديداً، بل وفيه مبالغة بعض الأحيان، لكنها مبالغة منحرفة! أي إنه عرض علينا وجهاً لثقافتنا وحضارتنا وتاريخنا وشخصيتنا يريده هو. لذلك فمطلق إثبات وجودنا الثقافي والعودة إلى ذاتنا التراثية لن يعالج مشكلة من مشاكلنا، بل قد يمهد الأرضية للغرب كي يمارس حالات استغلال جديدة ويجرّنا إلى نوع من الرجعية الحديثة تحت طائلة إحياء التراث القومي والتقاليد والأعراف والعادات المحلية الموروثة. وتستشعر آثار ذلك الآن على شكل حالات من التحجّر في السلوك وعبادة القديم وترويج النزعة العامّية عديمة الطعم والمقلدة للغرب، والتي هي في حقيقتها نوع من التناقض الأحمق في الأفكار والسلوك بين مقلد صبياني تغريبي ومقلد تشريقي زائف من النوع الذي إذا قال أو فعل أستاذهم الأزلي شيئاً قالوا وفعلوا الشيء ذاته تلقائياً وفوراً وعن لاشعور، فإذا قال ذلك الأستاذ إن الخلّ حلو سال لعابهم حقاً وشعروا بحلاوة الخلّ شعوراً حقيقياً في أنفسهم! وهذه العودة إلى التراث التي يمكن تسميتها رجعية أمريكية يسوّقونها الآن باعتبارها عودة إلى الذات، وما هي إلّا استحمار جديد، وما أقبحه من استحمار!

نصب أحد هؤلاء المافوق الحداثيين في بيته لخرجين حمارٍ كموشر على نهضة العودة إلى الذات لدى هذه الجماعة! لذا فالعودة إلى الذات - بالشكل الذي نتحدث عنه -

ليست عودة رجعية إلى الماضي، وليست «انقلبتم على أعقابكم»، ولا «إحياء لأساطير الأولين» التي نبذها الإسلام كلها، وليست تكريماً لعظام الآباء والأجداد البالية. إنما هي عودة إلى الذات الإنسانية للعثور على الشخصية والماهية العقيدية والتاريخية وإحياء الروح الخلاقة والقيم المعنوية السامية. وعليه فيجب في شعار العودة إلى الذات تعيين أية ذات نعود إليها؟ الذات الأساطيرية؟ أم الذات القومية والعرقية؟ أم الذات التاريخية؟ أم الذات التقليدية المحلية؟ أم الذات الآثارية القديمة؟ أم الذات الدينية؟ وأي دين؟ دين مهر أم زرتشت أم المانوية أم المزدكية؟ أم الذات الإسلامية؟ وأي إسلام؟ الإسلام السني أم الشيعي؟ وأيّ تشيع؟ التشيع العلوي أم التشيع الصفوي؟

كتبتُ في كتاب اسمه «العودة إلى أية ذات؟»: «العودة إلى الذات الإنسانية الخاصة التي تكوّنت على مرّ التاريخ ومنحتنا هوية معنوية وشخصية ثقافية، ممكنةٌ عن طريق التوكّؤ على الحركة التاريخية المستمرة والاتجاه العقيدي والروح الشعبية والرؤية الطبقية». أي تلك الروح الحقيقية المترابطة المتصلة التي لها مسيرتها وجريانها المستمر تحت التراب والأدغال والرماد والأحداث والظواهر والوقائع التاريخية والقوالب المؤقتة والأشكال والحركات المصطنعة أو المفروضة أو المتغيرة للماضي، والمتواصلة إلى يومنا هذا، والتي تنطوي على حقيقتنا الإنسانية وقيمنا السامية وأخلاقنا وروحنا العقيدية وأرصدتنا وطاقاتنا المعنوية، ماض حاضر وتاريخ جار حيّ. الذات الدينية أو القديمة ليست ميتاً بقي في الماضي مدفوناً في أعماق القرون أو داخل الخرائب والأنقاض، ولا يراه سوى المؤرخين والعلماء في أذهانهم وفي طيّات الكتب والوثائق والآثار العتيقة، ولا هو جنازة في مقبرة الأيام السالفة ينبش قبرها علماءُ الآثار والمفكرون ويريدون نفخ الروح فيها وتحريكها عنوة. هذه «الذات» إنسان خالد. شخص مسنّ بوجه ملايين البشر عاش في كل القرون والأحقاب وعاصر كل الأحداث والتطورات والتحولات والثورات والحضارات والثقافات والأفكار والعقائد في تاريخنا الطويل، وهو الآن نحن! هذا الشخص الذي كان وعاش في هذا الماضي الكثير التوتر والاضطراب والزاخر بالكون والفساد، وهو الآن حيّ حاضر، اكتسب هوية معينة محددة وروحاً وأرصدة وقيماً وكنوزاً فاخرة وإمكانيات كثيرة وقدرة عيسوية إعجازية. والاستعمار الثقافي وأذرعه لا تخاف إلّا منه وتحاول أن تحطمه

هذا الشعار لا يعني أن نعرض عن الزمن الحاضر ونتنكّر للمستقبل ونتهرّب من كل جديد بتعصّب، ونعود إلى الماضي خائفين فزعين، إنما الغاية هي العودة إلى ذاتنا الإنسانية والثقافية والعقيدية. خلافاً لما يعرضونه اليوم، لا يوصينا هذا الشعار بمسيرة رجعية. إنه ليس مشروعاً عامّياً تقليدياً للأعراف المحلية والآداب والتقاليد العامّية المحلية واجترار ما تمّ اجتراره أربع مرات. إنها نهضة رائدة تقدمية للخلاص من الاغتراب عن الذات والتحرر من حلول الأجنبي في ماهيتنا الإنسانية وهويتنا المعنوية والثقافية (إلياسيون)، وبالتالي استعادة حقيقتنا المفقودة وقيمنا المنهوبة، والاعتماد على أصالاتنا، وعدم التفكير بدماغ الآخرين، وعدم التكلّم بلغة الآخرين وعدم المشي بأرجل الآخرين، وأن نكون أنفسنا لا غيرنا.

٥ – استخراج وتنقية وتصفية المصادر المعنوية والثقافية الهائلة التي بقيت دفينة بل ومجهولة تحت طبقات سميكة من القرون التاريخية المظلمة،

وتشلّه. الغرب لا ينكره بل يريد عرض وجهه علينا بشكل ممسوخ كي نهرب منه ونتعلق بأذيال الأجنبي. الغرب يخاف أن نتعرّف عليه. لا مانع لديه من أن نعبده بل ويشجعنا على عبادته، لكنه بذل ويبذل آلاف الجهود والمساعي كي لا نعرف من هو. إذا عدنا إليه وتوكأنا واعتمدنا عليه وهو الباعث على الحياة فسوف يحيينا بطريقة إعجازية. إنه كيومرث، والخضر، والمسيح. لقد اعتنق الإسلامَ في الفصل الأخير من حياته، وآمن مؤخراً بإسلام عليّ. إنه ذاتنا نفسها، ويجب أن نستند إليه في مقابل الغرب ومقابل الاستعمار الثقافي والرجعية الحالية والدين الحالي والجهل والضعف والنوم والتخدير والتقاليد والتعصب الأعمى والحداثة الكاذبة ومقابل كل هذه العناصر الأجنبية الغريبة. يجب أن نعود إلى «ذات ذاتنا».

وفَقَدَ ورثتُها جدارةَ الانتفاع منها، وبالنتيجة نراهم يبيتون على هذه الكنوز العظيمة اللامتناهية المنقطعة النظير في تاريخ الإنسانية جياعاً فقراء فارغين محتاجين للأجنبي.

٦ – الكفاح الفكري والعلمي ضد الخرافات والأفكار المنحرفة والعقائد والتقاليد والأعراف اللاإنسانية واللاإسلامية التي شلّت وسمّمت أفكار المجتمع وروحه، عن طريق التحقيق والبحث والتحليل المنطقي والعلمي في الجذور التاريخية والأدوار السلبية الاجتماعية والآثار المشؤومة العقيدية والعملية في حياة المسلمين واكتشاف البدع والانحرافات والتبريرات السلبية، والتأشير على العوامل الطبقية والسياسية والدينية والفلسفية والأغراض المتعددة التي كانت فاعلة طوال تاريخنا. تدل التجربة التاريخية المستمرة التي كانت دوماً حرباً فكرية واجتماعية وحرب الدين ضد الدين[1] على أن أقوى عامل يستطيع أن ينحّي الدين المنوِّم المنحط في المجتمع ويطرده بعيداً عن الأفكار والمشاعر هو الدين التوعوي الموقظ التقدمي، وماضي الإسلام استعراض مستمر للصراع بين هذين الإسلامين في التاريخ.

٧ – المقاومة بوجه الهجمات القويّة المتواصلة للأفكار والآثار المسمومة والمنحرفة التي استهدفت أفكار مجتمعنا ومشاعره بشكل مستمر ومؤثر بضرباتها القوية العميقة، وكان هدفها السقوط الفكري والتشتت

(١) «الدين ضد الدين» (محاضرات ألقيت في حسينية إرشاد).

العقائدي والتفرقة الثقافية وفصم العرى المعنوية وتقطيع أسلاك النظام التي تمنحنا مقابل الغرب الشخصية والاستقلال الإنسانيين، عن طريق إطلاق نهضة فكرية مستقلة ومنح الأرصدةَ الفكرية والعقيدية القدرةَ على النقد ورفع مستوى الشعور والمعرفة الصحيحة وتعزيز قوة المقاومة الأيديولوجية في الجيل الشاب المستنير.

٨ – الكفاح ضد المشاريع والمؤامرات والتيارات المتنوعة المتعددة التي تهدف إلى سقوط المجتمع أخلاقياً وخصوصاً جيل الشباب والدارسين، من أجل أن يسلبوهم القدرة وحتى المجال والفرصة للتفكير والوعي والالتزام بالمسؤوليات الإنسانية، وإغراق الإيمان والعقيدة والنباهة والقيم الإنسانية كلها في مستنقع الفساد، عن طريق خلق تيار فكري عارم، وتنمية مديات الوعي، وطرح المسائل الفكرية والمسؤوليات الاجتماعية، والانهماك في التفكير، والشعور بالمسؤولية والالتزام، وارتباط جيل الشباب بالركائز المتينة والعوامل العقيدية الموجِّهة، وبالتالي إيجاد هدف بين المستنيرين، إذ على حدّ تعبير الكسيس كارل اللهو واللعب مستنقع آسن لا ينغمس فيه سوى الأفراد الذين لا هدف لهم في الحياة.

٩ – المعرفة الصحيحة الواعية للعالم والحضارة الجديدة والثقافة الغربية والقوى الاستعمارية والعلاقات الخفية والعلنية بين الشرق والغرب، ولا سيما المكانة الخاصة للإسلام كدين وكثقافة وكتاريخ باعتباره جزءاً كبيراً من المجتمع البشري الكبير.

مناقشة جميع القضايا الفكرية والمدارس والأيديولوجيات التي تشكل الرؤى والأفكار السائدة في العالم المعاصر، وتؤثر تأثيراً حاسماً شئنا أم أبينا على أفكارنا ومشاعرنا ولا سيما المستنيرين منا، وتحليل الواقع العيني الدولي والعوامل المؤثرة والقوى والإمكانيات والظروف وبالتالي جميع المسائل التي تكوِّن زماننا وعصرنا، ولها لا مندوحة صلاتها الإيجابية أو السلبية بمصيرنا وعقيدتنا وثقافتنا وحياتنا. ففي الوقت الحاضر في العالم الذي تتسع فيه العلاقات العامّة ووسائل الاتصال بسرعة كبيرة وتنهار فيه الصروح والأسوار التقليدية المغلقة وخصوصاً أن الغرب يُسرّع من هذه الحتمية عن طريق تنميط جميع البشر والشعوب في قوالب متشابهة وفرضِ ثقافته الغالبة على كل الأديان والمذاهب والثقافات الوطنية والدينية في العالم، تعدّ العودة إلى الذات وحتى العودة الواعية إلى الذات وعلى حدّ تعبير العلاّمة إقبال «تجديد بناء رؤيتنا الدينية وتفكيرنا الإسلامي» ممكنةً بالنسبة للجماعة التي تتحلّى برؤية عالمية واسعة ومنفتحة ولها وعيها الدقيق الصحيح بالزمن الذي تعيش فيه والمكانة الإنسانية التي تتبؤها في العالم.

١٠ – إيجاد نهضة إسلامية، أي ولادة جديدة لتلك الروح الثورية الموعِّية والإيمان الطاهر الناصع الإنساني المحفّز على الحركة والداعي إلى العزة والباعث على المسؤولية والرؤية المنطقية الواقعية والاجتماعية والمثل الإنسانية التقدمية الرائدة التي تسمّى الإسلامَ الأول، وحمل «الرسالة» مجدداً، الرسالة التي أوجدت فجأة ثورة متجذرة عارمة في القلب الكئيب المنهك المظلم لتاريخ الإنسان، وفجّرت ذلك التدفّق الجامح في الأخلاق والأفكار

والمشاعر والأفراد والأقوام وفتحت العبقريات في الصحاري ونمّت الحضارات في أرض التوحّش، وأطلقت الحركات في الجمود وخلقت القوى والقدرات في الضعف، والعزّة في الجبن والذلة، والحريات في الأسْر والعبودية، وبالتالي روح العدالة والنباهة والبعث في أعماق الطبقات المحرومة المستضعفة.

هنا يطرح بالضرورة هذا السؤال: ما الذي ينبغي فعله من أجل تحقيق هذه الأهداف؟ وبعبارة أدق من أين يجب البدء؟

من الطبيعي أن لا تكون الإجابة عن هذا السؤال معادلة ثابتة مشتركة أولاً لأن كل شخص سوف يجيب عنه طبقاً لرؤيته الاجتماعية ومدرسته العقيدية الخاصة. وثانياً سوف تختلف الإجابة حسب من يكون المسؤول أو الجماعة أو الطبقة المسؤولة، لأن مسؤولية كل شخص تتعين بحسب طبقته الاجتماعية. لذلك علينا من أجل الإجابة عن هذا السؤال أن نعين هنا مدرستنا وفئتنا وشريحتنا الاجتماعية. أي ينبغي أن نحدد عن لسان أية طبقة نتكلم وبلغة أية مدرسة؟

الجواب بكلمة واحدة: المستنير الإسلامي!

بداية يجب أن نعتقد كمبدأ يؤمن به الجميع أن المسؤولية الأولى التي تقع على عاتق المستنير في مجتمع تقليدي ووسط كتلة شعبية غير واعية هي توعية المجتمع.[1] على هذا الأساس نعتقد كمستنيرين إسلاميين أن

(١) يمكن لهذه التوعية أن تكون وطنيةً أو ثقافيةً أو طبقيةً أو سياسيةً حسب الظروف الاجتماعية والمرحلة التاريخية والنمط الثقافي لكل مجتمع. مثلاً يمكن أن تكون في أمريكا

الإجابة عن السؤال «من أين ينبغي أن نبدأ لتحقيق هذه الأهداف؟» وكشعار نهائي هي: ولادة الإسلام من جديد.

كيف؟

الإسلام نفسه يعلِّم أتباعه متى ما ضللتم الطريق في التاريخ، وتفرّقتم شيعاً في ظلمات القرون، ومُنيتم بالشتات، وهمتم على وجوهكم في صحراء الأفكار، وأصابكم اليأس، فلا تواصلوا ضياعكم وضلالكم ولا تصبروا على التشتت والتفرقة، ولا تهدروا طاقاتكم وفرصكم عبثاً في حروب بين اثنين وسبعين فرقة، ولا تحطموا مصيركم بالنزاعات الكلامية غير المثمرة.

عودوا إلى القرآن

لا شك في أنه بات من الواضح جداً لحد الآن ضرورة العودة مما أخذته كل فرقة اليوم باسم الإسلام إلى العصر الذي كان فيه المسلمون الأوائل يفهمون هذه الرسالة فهماً مباشراً من دون وساطة الفلسفة والكلام والتصوف والعوامل الدينية والتراثية والتاريخية اللاحقة.[1] ولكن حتى لو

اللاتينية طبقية، وفي إسبانيا سياسية، وفي المجتمعات المبتلاة بالاستعمار أو التمييز العنصري وطنية، وفي أفريقيا السوداء ثقافية.

(١) لذلك يعد الاعتماد على الإسلام في أي مجتمع إسلامي تقليدي من مسؤوليات أي مستنير ينتمي لذلك المجتمع، سواء كان متديناً أو غير متدين. فهو بالنسبة لغير المتدين مجرد ثقافة وبالنسبة للمستنير المتدين ثقافة وعقيدة في الوقت نفسه.

نقلنا أنفسنا بقفزة ثورية من هذه القرون إلى ذلك العصر فسيبقى هذا السؤال منتصباً أمامنا: «إلى أيّ قرآن نعود؟»

هل هو قرآن قصر الخليفة عثمان الذي يحيي أرستقراطية قريش ويقتل أبا ذر الشعب؟ أم قرآن كوخ رجل ساكت في زاوية مسجد الرسول اسمه عليّ بن أبي طالب؟ أم القرآن المرفوع على رماح عمرو بن العاص كبيرق للملكية الأموية الوراثية العرقية الأرستقراطية الطبقية اللاشعبية؟ أيّ قرآن؟

ها وقد عدنا الآن إلى الإسلام الأول يمكننا أن نكتشف لماذا استجاب شعبنا قديماً لدعوة الإسلام بهذه السرعة وبشكل جماعي غفير. لا شك في أن الاستجابة لأية دعوة وليدة حاجة وألم. كانوا يعانون من التمييز الطبقي والظلم الساساني واستحمار رجال الدين الزرادشتي.

ماذا كانوا يرون في رسالة الإسلام الأول؟ الإيمان والعدالة والقيادة. وهذه هي الشعارات الثلاثة التي ترفعها كل شعوب الأرض في عصرنا. الصراع القائم في العالم اليوم قائم على هذه المبادئ الثلاثة. وقد تجسّدت هذه الأهداف الثلاثة في جسد إنساني واحد: عليّ بن أبي طالب.

«إسلام عليّ» قائم على هذه الركائز الثلاثة.

«وجود عليّ» هو التفسير العيني لقيادة الجماهير.

«حياة عليّ» توزّعت إلى ثلاثة فصول:

ثلاثة وعشرون عاماً من الجهاد في سبيل «المدرسة العقيدية»، وخمسة وعشرون عاماً من الصبر في سبيل «الوحدة»، وفي النهاية خمسة أعوام من

الحروب في سبيل «العدالة». وهذه هي الشعارات الثلاثة لكلّ الكتل الشعبية المسلمة في عصرنا.

هنا من أجل أن لا يبقى سؤال دون جواب ولا تبقى أية نقطة غامضة، ينبغي بعد تقديم الأيديولوجيا والمدرسة وعرض النماذج المثالية وتشخيص الطريق والهدف والشعارات الأصلية والركيزة العقيدية والاتجاه التاريخي والموقف الاجتماعي والطبقي الدقيق، ينبغي تشخيص القضايا الاستراتيجية، وعرض النماذج العينية، وأسلوب الحركة، وطريقة التحقيق والتنفيذ، وبالتالي — لو أردنا التحدث بلغة علم الاجتماع العلمية — الوجهة الثانية في العلاقة الديالكتيكية بين الفكرة والتطبيق.

هنا، من أجل إيضاح ما هو شديد التعقيد نستعين بتقليد شائع بين عموم أبناء شعبنا، تقليد عميق جداً وكبير المعاني جداً، وجدير بالتأمل والتدبر، تقليد يثير مشاعر المستنير الواعي - إذا لم يكن مستنيراً تقليدياً قوالبياً، بل كان من المستنيرين الذين يتحلّون بالنباهة والاستقلال الفكري ليستطيع اكتشاف وتمييز الروح الجميلة القويّة التقدمية خلف الوجوه القديمة العامّية - أشدّ الإثارة، ألا وهو الإحالة. إحالة كل ما يطرح من توحيد ودين وقرآن ومُحَمَّد وعليّ وحج وعبادة وفلسفة وعرفان وعشق وإيمان وأفراح وأحزان و... وكل عقيدة وتقليد وقضية وعرف وكل بعد من أبعاد الحياة والمجتمع والتاريخ والأخلاق والروح وكلّ شيء وكلّ شخص، إحالته إلى الحسين وعاشوراء الحسين! أي إن كل هذه الأمور والعناصر وكل ما موجود يجب أن تحال إلى الحسين وترتبط بقصة الحسين وإلّا كانت مجردةً مطلقة

مبهمة عديمة الثمر! أي إن المحور مهما كان فهو عمل الحسين، أي في كل الأحوال وحتى في الاحتفالات والأعراس يجب استذكار هذه القضية: يزيد، الحسين، الشهادة، ... ينبغي ربط كل لحظة من اللحظات بقصته وإحالتها إليه، يجب ربط كل يوم بيوم عاشوراء، وربط كل الشهور بشهر محرم، وإناطة كل بقاع الأرض بتلك البقعة الحمراء.

لا تنسوا! لا تنسوا، عن أيّ شيء تكلمتم وعن أي شخص تكلمتم أحيلوا الكلام إليه واربطوا القضية به، أية جرعة ماء ترتشفون اذكروه اذكروه اذكروه اذكروه!

لقد حاول التاريخُ أن يُنسى. الزمان ينسي كلّ شيء. ينبغي مقارعة حتمية الزمان بهذه الطريقة.

. المستنير يواكبنا إلى هذا الحدّ.

النهضة الإسلامية، اكتشاف الإسلام الأول، العثور على أيديولوجيا، العودة إلى الذات بإحياء الإسلام الحقيقي في المجتمع الإسلامي لتحقيق هذا الهدف، العودة إلى القرآن، القرآن كما يفهمه عليّ.

والوصول في هذا الدرب إلى الشعارات الأهم حسب حاجة هذا الزمن: الإيمان، المدرسة العقيدية، الوحدة، العدالة، والقيادة.

وهكذا تتحقق مسؤولية المستنير الذي تكون حياتُهُ عقيدة وجهاد ورسالة تنوير وتوعية لعموم الناس من أجل هدايتهم وإنقاذهم.

والحسين مصباح الهداية وسفينة النجاة، الشهيد الحيّ الحاضر في كل الساحات وفي كل العصور والشاهد على كل الأجيال الواعية المسؤولة، وهتاف دعوة تنادي إلى آخر الدهر كل المتدينين والأحرار وتطلب نصرتهم في جهاده الحيّ المستمر. إنه النموذج الحيّ للشهيد الخالد الذي فسّر إسلامَ عليّ بن أبي طالب لكلّ من يتحلى بالوعي ويتحمّل المسؤولية حيال زمانه وإيمانه. والمستنير المسلم يحيل إليه كلَّ شيء وكل شخص، ويقضي كل لحظات حياته بذكره، ويربط أينما ولد من الأرض وفي أي عصر ولد، زمانه وأرضه بزمان الحسين وأرضه، وينيط العصرَ الأسود للقوم الذين يتحمل مسؤولية إرشادهم بيوم الحسين الأحمر.

دوّنت حسينية إرشاد التي كانت مسوّغاتها وأهدافها منذ البداية «إرشاد المستنيرين حسينياً» مشروعاً كخطة عمل لها على أساس هذه المدرسة وهذه الرؤية وهذا النهج، وبمثل هذا الفهم للزمان والمجتمع والدين والإسلام والتشيع، وبمثل هذا الشعور الساطع الواعي بالمسؤولية. وفيما يلي نذكر خطة العمل هذه لاطلاع كل المستنيرين المسؤولين والإسلاميين الواعين الملتزمين الباحثين عن سبل جديدة لخدمة الإسلام ومجتمع المسلمين:

أولاً يُعلَن هذا المشروع كمنهج علمي إسلامي للمستنيرين الإسلاميين في إيران ليوضع موضع الشورى العامّة ويعمد كلُّ الناس الواعين وأصحاب الرأي والخبرة إلى تصحيحه واستكماله باقتراحاتهم وخبراتهم وآرائهم الناقدة.

ثانياً يعمد كلُّ المستنيرين الإسلاميين في مجتمعنا إلى تنفيذ برنامج أو برامج من هذا المشروع الكبير بأيّ شكل ممكن من الأشكال، وفي كل الظروف، وبأية إمكانيات يمتلكونها، وفي أية زاوية من زوايا المجتمع، وعلى أي مستوى يستطيعونه، وذلك بتعبئة كل طاقاتهم وإمكانياتهم المعنوية والمادية، وبإنفاق أكبر ما يمكن من المبالغ الدينية المختلفة، وتوظيف أوسع النشاطات الإسلامية المتنوعة وفعاليات المؤسسات والمجامع والطاقات الإنسانية والمالية الكثيرة التي تخصص باسم الدين.. تعبئتها في سبيل تعريف الناس تعريفاً حقيقياً بروح الدين ومفهومه الحقيقي التقدمي، وإحياء حقائق الإسلام، ومعرفة الوجه الحقيقي لآل الرسول.

لتنفيذ هذا المشروع على أي مستوى وبأيّ حجم ممكن، ينبغي على كل الذين يسعون إلى فعل شيء من أجل مجتمعهم ودينهم أن يبادروا لتأسيس مؤسسات إسلامية صغيرة وكبيرة في كافة أنحاء البلاد. وإذا لم يكن لدى البعض القدرة على تنفيذ أحد هذه البرامج في أحد الأماكن أو المحافل الرسمية الدينية، ولا تأسيس مؤسسة بهذا المنهاج والهدف، فلا أقل من العمل ضمن نطاق مجاميع صغيرة من ذوي الأفكار المتشابهة وأقامة دورات تخصصية وجلسات بين الأصدقاء وحتى بين أفراد العائلة. وإذا لم يكن أي من هذه النشاطات متاحاً فالالتزام ببرنامج صغير بشكل فردي.

وهكذا تترابط وتتجمّع رويداً رويداً كل المساعي والأمواج الصغيرة والكبيرة المتفرقة بشكل طبيعي وحتمي، وتخلق نهضة إسلامية وتياراً عقيدياً واسعاً قوياً في كل المجتمع، وعندها يمكن القول إن نهضة إسلامية جديدة

قد استغرقت المجتمع، وأن الإيمان الإسلامي المتدفق البناء التوعوي قد ولد من جديد وفتح عصرنا فتحاً مبيناً.

بهذه الفلسفة والهدف، تبدأ حسينية إرشاد كل نشاطاتها العلمية والإسلامية في الحقول البحثية والتعليمية والإعلامية على أساس هذا المشروع، وتأمل في بداية عملها واثقةً بالعناية الإلهية التي هي سندها ومعتمدها الوحيد، أن يقطع الرجال والنساء المتدينون الواعون الذين يشعرون اليوم أنهم يجب أن يضحّوا من أجل إيمانهم ويعلموا «ما الذي ينبغي فعله» خطوةً بهممهم ويمدّوا أيدي العون والنصرة من أجل تحقيق هذه البرامج وتنفيذ وتكميل هذا المشروع الإسلامي الواسع. كل خطوة وخطوة كل إنسان في هذا الدرب الكبير خدمةٌ للإسلام، وهذا الواقع الأكيد يجعل كل إنسان مسؤولاً حيال هذه الأهداف المقدسة، كل من كان أكثر وعياً وأكثر إمكانيات وطاقة كان أكثر مسؤولية.

ولهذا نتوقع في تنفيذ هذا المشروع الواسع المساعدة والتسديد أكثر ما نتوقعه من المراجع الأجلّاء الواعين والعلماء والفضلاء المستنيرين في الحوزة العلمية، وكذلك الأساتذة الجامعيين العلماء، والباحثين والمحققين والكتّاب والمترجمين والمتخصصين في مختلف العلوم الإنسانية. ونحن على ثقة من أن الجيل المتعلم والشباب والمستنيرين والناس المتدينين الذين يعانون من الفراغ الفكري والانحرافات العقيدية والفقر الثقافي وقلّة المنظمات والمؤسسات العلمية والتبليغية الإسلامية المتلائمة مع روح العصر وحاجات هذا الجيل، ويتمنون دوماً قيام نهضة فكرية إسلامية جديدة وتأسيس مؤسسة دينية

علمية تقدمية كبرى في المجتمع الشيعي، سوف يواكبوننا ويآزروننا في هذا الدرب ويستشعرون مسؤولياتهم المباشرة والعينية حيال مصيرها.

البرنامج

تتوفر حسينية إرشاد في الوقت الحاضر على ثلاثة أقسام هي: قسم التحقيق والبحث العلمي، وقسم التعليم، وقسم التبليغ، وتحتوي على أربعة وحدات مؤسسية.

١ – قسم التحقيق والبحث العلمي

ويضمّ ست مجاميع بحثية:

- مجموعة الدراسات الإسلامية
- مجموعة التاريخ
- مجموعة الثقافة والعلوم الإسلامية
- مجموعة العلوم الاجتماعية
- مجموعة البلدان الإسلامية
- مجموعة الآداب والفنون

٢ – القسم التعليمي

ويشمل خمس مجاميع:

- الدراسات الإسلامية

- الدراسات القرآنية
- تأهيل المبلغين وتعليمهم
- الآداب والفنون
- اللغة والآداب العربية والإنجليزية

٣ – قسم التبليغ

- الوعظ والخطابة الدينية
- الندوات والمحاضرات العلمية
- المؤتمرات والملتقيات والحوارات العلمية

٤ – المؤسسات

- دار النشر
- المطبعة
- الترجمة
- الحج والشعائر
- مركز الكتب والوثائق والإحصائيات
- المكتبة الجوالة
- المطبوعات

(١)

قسم التحقيق والبحث العلمي

المسوِّغات والأهداف

المشاهدة العينية والتفكير العقلي والتحقيق والبحث العلمي سمة بارزة في الرؤية الثقافية والروح الدينية الإسلامية، وذلك بخلاف بعض النصوص الدينية ذات اللهجة السلطوية التعبّدية والتي تطرح المبادئ العقيدية والركائز الدينية على شكل حقائق غامضة مليئة بالأسرار وما وراء العقل بحيث يجب على الروح الإشراقية والمشاعر العرفانية أن تخضع لها وتمنع «أرجلَ البرهان الخشبية» و«أيدي العقل القصيرة» و«الفضولَ العلمي» عن التدخّل فيها.

القرآن هذا الكتاب السماوي الذي يتكلم بلغة الوحي، في الوقت الذي يعتبر فيه تقوى الروح وطهارةَ الباطن وخلوصَ الفهم شرطاً أساسياً لتقبّل الحقيقة والسير في طريق الهداية،[١] نراه يدعو أتباعه في كل مكان

---

(١) وهذا واقع تنبه له في الوقت الحاضر علماء كبار ومستنيرون حقيقيون (راجع: إلى أين يسير العلم؟ تأليف: ماكس بلانك). كما يمكن للناس أن يروا إلى أية فجائع دامية وجاهلية سياسية يمكن أن يؤدي غياب هذا الشرط الأساسي!

للتحقيق والتفكّر، لا من أجل معرفة الطبيعة والتاريخ والمجتمعات البشرية وحسب، بل إنه يوصي أيضاً بالنظر والبحث والتفكّر والتعقل في التفاصيل والظواهر الطبيعية والواقعيات العينية والمحسوسات المادية في سبيل التوصّل إلى الحقائق الماورائية (ماوراء المادة) وإدراك فلسفة الحياة والغاية من الخلقة وأسرار الوجود وحتى معرفة الله، ويعدّ هذا الأسلوب سبيلاً للنجاة من عبوديات الجاهلية و«أساطير الأولين» والتقاليد والمعتقدات الموروثة المتحجّرة والوصول إلى النباهة والوعي الذاتي والمعرفة واكتشاف الحقيقة. وقد كانت الأوامر القرآنية المتتابعة هي التي حفّزت وحركت المسلمين ونقلتهم من طور القبائل البدوية العربية أو عبادة التقاليد والموروثات الجامدة والماضوية الإيرانية، والذهنية المنطقية والكليات الفلسفية والتجريدية اليونانية، وبالتالي من الإنطوائية الصوفية وعبادة الزهد والرهبانية والروحانية التخديرية والرياضات المسيحية الراكدة المنحرفة، والواقعية الفردية اللااجتماعية وغير العلمية والشالّة للتحضّر والتعقّل والاقتدار والتقدّم الاجتماعي التي سادت الروح الدينية والأخلاقية الهندية. وابتداءً من القرن الأول للهجرة وعلى الرغم من الاضطرابات السياسية والعسكرية والسقوط الأخلاقي للخلافة وإحياء الأرستقراطية الجاهلية العربية والعجمية في الطبقة الحاكمة في المجتمع الإسلامي، إلّا أن الحوزات العلمية والمراكز الفكرية والثقافية الإسلامية كانت حامية ساخنة بالمشاعل المقدسة النيّرة للبحث والجدل المنطقي والجهاد والاجتهاد العقلي والعلمي وكسب العلم والتحقيق والبحث والترجمة والتأليف وحتى الأسفار والهجرات العلمية، فظهرت مدارس متنوّعة وتخرج علماء كثر وانطلقت جهود باهرة لمعرفة جميع أبعاد القرآن والسيرة والدين والتاريخ والفقه واللغة والفن، وكذلك معرفة البلدان

والشعوب والأقوام الماضية واستخراج واستخدام كل الذخائر والكنوز والمصادر في الحضارات والثقافات السالفة للشعوب وتحقيق واقتباس كل الموروثات المعنوية والمادية في التاريخ البشري في المجتمع الإسلامي الفتيّ من الأندلس إلى ماوراء النهر.

وهكذا صنعَ الإسلام، الذي كان إيماناً وأيديولوجيا، من الشعوب المتجمّدة والقبائل الأمّية أمّةً متحضرة متحركة، ووصلت الحضارة والعلوم الإسلامية التي تمثل جذور المدنية والتحضّر في العالم المعاصر والعامل الأساسي في سقوط الإقطاع ونموّ الطبقة المتوسطة وزوال روح القرون الوسطى في أوربا، مضافاً إلى كونها جذور النهضة البروتستانتية وضعف الاستبداد البابوي الأسود، وتغيير روح الرهبنة الكاثوليكية وقيام عصر النهضة، وانطلاق نهضة الهجرة والملاحة والاكتشافات الجغرافية، وبالتالي النزعة العالمية والنزعة المجتمعية في الروح الغربية الجديدة، وصلت في القرنين الثالث والرابع للهجرة إلى ذروة الازدهار والتألّق والإشراق، وعملت على ازدهار كل هذه العبقريات بين الأعراق المتعددة والشعوب والطبقات المتمدّنة والمنحطة والحاكمة والمحكومة، وفتحت أبواب العلم والتقدم الفكري والثقافي بوجه الجميع إلى درجة أن أبناء القرى وحتى الموالي والعبيد الغرباء الأجانب أيضاً كثيراً ما ارتقوا إلى أعلى مراتب الزعامة المعنوية والإمامة الدينية، وتربعوا على كراسي القضاء، وأمسكوا بأزمّة القيادة الفكرية والعلمية في العالم.

كان من شأن الاجتهاد، وهو أبرز مميزات الروح العلمية والنظرة العقيدية في الإسلام، لا أن يحول دون جمود الفكر الإسلامي في قوالب الزمان الثابتة، وأن يغدو الفهم الديني والقوانين والأحكام الدينية مجرد تقاليد وسنن راكدة وتعبّد وراثي وأعمال تكرارية عبثية خالية من الروح وتتوقف في مسار تغيّر الظروف الاقتصادية والاجتماعية وموت وولادات الاحتياجات والمتطلبات الحياتية، وتغدو أجنبية على الزمان والعصور المتعاقبة، وتبقى دوماً متجدّدة وتقدمية وضرورية وحسب، بل كان أيضاً عاملاً لسير أسلوب التفكير الإسلامي دوماً بشكل سابق للزمان ويطوي مراحل التكامل ويكتسب على مرّ التاريخ مزيداً من النموّ والثراء، ولا يتأخّر عن الزمان وحسب بل ويسحب الزمان معه إلى الأمام ويمنع ركود وتوقف الروح الاجتماعية والفكر العلمي للمجتمع الإسلامي، ولا يكون هدفه مجرد المطابقة بين الأحكام الإسلامية والمتطلبات الجديدة والتناسق مع حركة الحياة الحديثة بل وخلْق هذه المتطلبات وتحريك الحياة وهدايتها وتوجيهها. ولهذا كان العلماء الإسلاميون الكبار هم أنفسهم أكبر العلماء غير الدينيين، وكانت المدارس الإسلامية في الوقت ذاته مراكز فريدة للعلوم الطبيعية والإنسانية، وما هذا التمييز بين الروحاني وغير الروحاني، ورجل الدين ورجل العلوم غير الدينية، وعالم العلوم الدينية وعالم العلوم غير الدينية، والأسوء من كل ذلك «العلوم القديمة والعلوم الجديدة!» إلّا ظاهرة جديدة تتعارض مع رسالة الإسلام والروح والرؤية الإسلامية.

حتى المسجد في الإسلام لا يعرف الفرز بين الدين والدنيا، والعلوم الدينية والعلوم غير الدينية، وحتى الفصل بين العلم والعبادة والسياسة. مسجد الرسول كان محل جلوس الرسول وأصحابه الفقراء وكان في الوقت ذاته معبد صلاة ودعاء واعتكاف، وأيضاً حوزة دراسة وبحث علمي وكذلك مركز حكم وإدارة شؤون سياسية واجتماعية وعسكرية، وبالتالي كان برلماناً حراً كلُّ واحد من أبناء الشعب كان نائباً فيه.

بيد أن هذه الفاجعة المرة حدثت وتحولت الآن إلى واقع وهي أن الثقافة الإسلامية صارت تعتبر «علوماً قديمة»، وراحت العلوم الطبيعة والإنسانية (الطبّ والهيأة والفيزياء والكيمياء والرياضيات والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والحقوق والسياسة وعلم الاجتماع والأخلاق) تتموضع وتنمو بعيداً وغريبةً عنها في مكان آخر يشكل قلب المجتمع ودماغه.

لماذا حدث هذا؟ إننا نعتقد أن حقيقة الإسلام متجددة دوماً لأنها حقيقة. لذا فنحن مضطرون لاتهام أنفسنا في تخلف الثقافة والرؤية الإسلامية عن الزمان وبعدها عن الواقع. لا شك في أن العامل الخارجي وأيدي العدو مما لا يتسنى إنكاره في هذا المصير التعيس، ولكن متى كان الإسلام بلا عدوّ؟ بل لقد أثبت الإسلام أنه كلما اشتبك مع عدوّ خارجي قويّ ازداد قوة وانتصاراً، ومتى ما انهزم انهزم بسبب النفاق الداخلي وضعف الأصدقاء وغفلتهم. ألم يكن هذا الإسلام هو الذي دحر الجبهة المتحالفة لكلّ قبائل العرب القويّة بسهولة بعدة مئات من المقاتلين، وحطّم في الجيل نفسه بعدة آلاف من المسلمين الفقراء إمبراطوريتين عالميتين

عظيمتين هما إمبراطوريتا الروم وإيران في وقت واحد، ومع ذلك وفي الزمن نفسه تتسلط عليه عائلة ضعيفة مبغوضة مطرودة داخلياً ويكون آل الرسول هم الضحية في ذلك الجيل الأوّل ويقع زمام الإسلام بيد أرستقراطيي جاهلية قريش؟

وعليه، فلنقلِّل من المبالغة في دور العدوّ الخارجي تملّصاً من المسؤوليات الجسيمة التي نتحملها في صناعة مصيرنا الحالي، ولا نبرئ الصديق باتهام العدو. بل على العكس، إذا كان العدو قد استطاع أن يكون له دورٌ في انحطاطنا فقد كان ضعفنا هو الذي أتاح له هذا النجاح. فما من فاتح هزم قوماً إلّا إذا تقبّل القوم المنهزمون الهزيمة منه وأعدوا أنفسهم لها مسبقاً، وعلى حدّ تعبير عليّ الكبير (وهو وأبناؤه شهداء على هذه الفاجعة): من أجل أن يقع ظلمٌ في العالم لا بدّ أن يجتمع اثنان: الظالم والمظلوم.[1]

ما جعل العلوم الإسلامية في هذا العصر «علوماً قديمة» عاملٌ صدَّ الرؤية الإسلامية عن الحركة ومواكبة الزمان على مرّ التاريخ. واصل الزمانُ مسيرته المنحرفة بعيداً عن هداية الإسلام، وأضحت الرؤية والثقافة الإسلامية التي لم تواكب حركة الزمان قديمة وبالتالي لم يكن ثمة مناص من انفصال قلبها عن دماغها. بقي الإيمان والأعمال الدينية ولكن بين العوام،

---

(١) ستم پذير (المتقبِّل للظلم) ترجمة لكلمة منظلم، وستم ديده (مظلوم) ترجمة لكلمة مظلوم.

وبقيت العلومُ الإسلامية ولكن في القرون القديمة، وبالنتيجة بقيت العلوم الإسلامية علوماً قديمة ومحصورة بين الجدران البالية في المدارس القديمة وحبيسة كتبها القديمة. واغترب متعلمونا الذين هم صنّاع الدماغ الفعّال المسؤول في حياتنا الاجتماعية والعلمية في هذا الزمن عن الإسلام وتوجّهوا نحو علوم العصر، وباتوا هم والعوام الذين احتفظوا بالدين وعملوا به، وبفضل تلقينات الغرب صاحب العلوم العصرية والقدرات الحياتية، مفتقرين للنباهة والوعي الذاتي والمعرفة الدينية. وكان من الطبيعي أن يغدو الإسلام الحالي إيماناً منقطعاً عن العلم وقلباً منفصلاً عن الدماغ وإحساساً محروماً من العقل، وأحكاماً فاقدة للروح والمعنى والتسويغات! وبالنتيجة أضحى الإسلام الذي كان روحاً دينياً وشعوراً عرفانياً عميقاً زاخراً بالحراك والتوثب والقوة ومتسلحاً بأحدث أسلحة المنطق والحكمة والعلوم والفنون والأدب ورسالة الحياة والهداية الاجتماعية في زمانه، وروحاً حركية خلاقة تمنح الحياة والحراك لأقوى جسد حضاري ومجتمع في زمانها، أضحى روحاً مجردة متحجّرة في جسد تقليدي وعادات موروثة وأعمال ومراسم وشعائر تكرارية وحبيس العصبيات العامية واللاوعي والاغتراب عن الزمن وعن مسيرة التاريخ، وبات المعتقدون به جماعة منحطة يترك أبناؤها دينهم ببضعة كراسات دراسية صبيانية وبسلوكيات حداثوية فارغة، أو يتمردون عليه، فلا يجد الآباء من محيص سوى الأنين والآهات العاجزة أمامَ هذا الواقع، أو اللواذ بمزيد من العجز فيتركوهم لحالهم بذريعةٍ تحفظ لهم ماء وجوههم هي ذريعة الحرية والحداثة، وأن يجلسوا ليتفرجوا على تقليدهم القردي المثير

للغثيان وقد تحولوا إلى ألعوبة في مسرحيات عرائسية من إخراج وإنتاج الاستعمار الثقافي والإنساني، ويستسلموا لكل ما هو قادم!

كيف يمكن إعادة دماغ الإسلام إلى قلبه؟ كيف يمكن إخراج العلوم الإسلامية من حالتها القديمة ورفعها إلى ناصية الزمان؟ وكيف يمكن تحرير الإيمان الديني من قوالبه التقليدية المتحجّرة الحالية ومنحه الوعي الذاتي والنباهة ونور العلم والمنطق العقلي؟ كيف يمكن إعادة بناء الإسلام الذي انشطر الآن نصفين — نصفه تقاليد موروثة لاواعية، والنصف الآخر علوم متخلفة عن الزمن — وتحويل مجتمعنا الذي انفصل رأسه عن جسده فبقي جسده حاراً بالدماء والحرارة الدينية الموروثة، بينما بقي رأسه مغترباً عن ذاته مليئاً بالهواء الأجنبي ميّالاً إلى جهات أخرى، كيف يمكن تحويله إلى مجتمع رأسه على جسده، وجسده حيّ يرزق، ورأسه واع يقظ، وبالتالي كيف يمكن إخراج تلك الروح الباعثة على الحياة الخلاقة الثورية التنويرية الصانعة للقوة والموقدة للعقل البانية للحضارة، والتي تمنح أمّتها العزّة والاستقلال والحياة والعلم والإيمان والحركة والمعنوية والثروة والأمر والسيف والحقد والحبّ والانتقام والعفو والجهاد والصلح والتعصّب والتسامح والحرية والقيادة والواقعية والمثالية والفخر والتواضع والعصيان والعبادة والإنسانية والوعي، كيف يمكن إخراجها من أعماق التاريخ المظلمة وانتشالها من بين أسوارها القديمة المغلقة، ونفخها في الجسد الخاوي لهذا الزمن وفي الضمير الطاهر لهذا الجيل الذي لم يبق له ملاذ ولا هدف، وإحياء وتوعية المجتمعات الميّتة المزوّقة شبه الإسلامية التي مدّت الضباعُ أنيابها ومخالبها فيها، ونمت في تعفّناتها جراثيمُ مئات الأمراض، بالإعجاز المسيحي؟!

أجل، كيف؟ أيّاً كان الجواب عن هذا السؤال فالأكيد هو أنه يمثل مسؤولية جد ثقيلة وجد فورية وحيوية. مسؤولية تثقل على كواهل كلّ واحد منا، ولا فرق في ذلك مَن نكون ومِن أية طبقة نكون، وبأية قدرة ومؤهّلات كنّا، لأن ما يجعل الإنسان مسؤولاً هنا هو أنه إنسان. بيد أن ما نعتقده هو أن العامل الذي منع حركة الروح الإسلامية وصدّها عن السير في تيار الزمان وجعل الثقافة والرؤية الإسلامية قديمة بالية متحجّرة هو موت روح الاجتهاد.

كان الاجتهاد بوابة إلى مدينة الروح والثقافة الدينية التي كانت قافلة الزمان تمرّ بها، وباباً مفتوحاً على دار العلم الإسلامية أهدى لها دوماً هواءً طلقاً جديداً. الاجتهاد معناه السعي الحرّ المستقل العلمي في سبيل معرفة الإسلام معرفةً متكاملة تقدمية بكل أبعاده وتصوره تصوراً متجدداً متحولاً في إطار رؤية متسامية متطورة متقدمة زمانية للمجتهدين الواعين وفهم المعاني المتعدّدة المتشابهة واكتشاف البطون المتراكمة التي تنطوي عليها لغة كتابه الكثيرة الطبقات المتعددة التلافيف المترامية الجوانب، والتي تفصح كما الطبيعة عن تجليات مختلفة في كل مقطع من مقاطعها، وبالتالي استخراج مستمر لحقائق جديدة بحسب تكامل الأفكار والعلوم البشرية، واستنباط الأحكام والموازين الحقوقية والقانونية الجديدة حسب تطور الحاجات والمؤسسات والبنى الأصلية والفرعية للنظم الاجتماعية المتغيرة وحركة التاريخ الحتمية وتكامل البشرية الذي لا مناص منه. إذن، الاجتهاد عامل كبير للحركة والحياة والتجديد الدائم في الثقافة والروح والنظام العملي والحقوقي الإسلامي على مرّ العصور والأحقاب الزمنية المتغيرة المتحولة.

الخطر الذي خمّنه مفكرون متنورون متفرّسون في القرن الأخير هو أن الروح والنهضة الثورية بعد أن تتجاوز فضاءها الاجتماعي وظروفها التاريخية سوف تتوقف وتصبح محافظة، بل وتبدي مقاومة رجعية حيال تطور المجتمع. بمعنى أن كل حركة[1] تتحول بعد مدة إلى نظام.[2] لقد كانت المسيحية حركة ثورية داخل نظام الامبراطورية الرومانية ثم أضحت هي نفسها في القرون الوسطى نظاماً محافظاً سائداً حاكماً. وقد كانت البرجوازية إلى حين الثورة الفرنسية الكبرى حركةً ثورية تقدمية في داخل النظام الإقطاعي المتحجّر في القرون الوسطى وأصبحت الآن هي نفسها نظاماً متعصّباً محافظاً رجعياً. وإسلام الإمامة (التشيّع) الذي كان إسلاماً حنيفياً بقي على مرّ التاريخ الإسلامي حركةً ثورية فكرية واجتماعية وسياسية ضد «إسلام الخلافة» (الذي مسخ الإسلام الحركي الرائد إلى نظام متحجّر حاكم) لكنه بعد الصفوية انقلب هو نفسه إلى نظام. وبالتالي كانت الاشتراكية في أوربا الشرقية إلى ما قبل الحرب نهضة ثورية وهي الآن نظام راكد محافظ يبدي حيال الحركات الفكرية والاجتماعية الجديدة مقاومةً رجعية متعصّبة.

وكذلك هم الأفراد. فكم من زعماء ثوريين تحولوا خصوصاً بعد استلامهم زمام السلطة إلى حكام ورؤساء محافظين.[3] وعلى أساس هذه

---

(1) Mouvement.
(2) Institution.
(٣) وعلى حد تعبير الدكتور جورج جرداق كان عليّ بن أبي طالب الوحيد الذي بقي ثورياً من بين كل الثوريين حينما كان فرداً بلا مسؤوليات أو مناصب، وكذلك عندما استلم --

التجربة العلمية والتاريخية طرح أحد المفكرين الثوريين المعروفين نظرية شهيرة هي نظرية «الثورة الدائمة» من أجل أن لا تتحول المدرسة الفكرية الثورية إلى نظام ومؤسسة راكدة محافظة.

الاجتهاد له مثل هذه الدور الحيوي المذهل، دور الثورة الدائمة في المدرسة الإسلامية. وبهذا المعنى يمكن أن نفهم كيف أن خاتمية رسول الإسلام غير متناقضة مع التكامل التاريخي لمجتمع المسلمين، ذلك أن روح الاجتهاد تحول دون أن يتجمّد الإسلام في قالب عصرٍ بعينه ويبقى ثابتاً في مرحلة تاريخية معينة من مراحل مجتمعه فلا يكون متناسقاً مع التغييرات والتطورات التاريخية لمجتمعه فيبقى هو يراوح في مكانه بينما يتقدم الزمن إلى الأمام، إنما يتقدم هو أيضاً بفضل روح الاجتهاد. فبالاجتهاد الفقهي يتقدم بموازاة الاحتياجات الاجتماعية، وبالاجتهاد الفكري يكتسب في كل عصر تجليات جديدة في الأذهان المتحوّلة المتكاملة، وتظهر منه حسب الفهوم والمشاعر وتقدم العلوم أبعادٌ أحدث وبطون كانت خافية. وهذا التحول والتكامل الدائمي والتجليات والتصورات المتنوعة لا تتنافى مع ثبات حقيقته، لأن الطبيعة هي الأخرى لها حقيقة عينية ثابتة، وإنما الذي يتغير دائماً هو فهمها والعلاقة بها والحاجة لها وزاوية النظر إليها وتجليات وجوهها في المدارك والأحاسيس والفهوم، هذه هي الأمور التي تتغير دوماً وتبدو نسبية متحولة تُستكمَل باستمرار.

زمام السلطة. المجازفة الخطيرة بعزل معاوية وعدم الرضوخ لمطالب طلحة والزبير تنمّ كلها عن هذه الروح.

في ضوء هذه القضايا الأساسية تُستشعَر في زماننا ضرورةُ وفوريةُ البدءِ بنهضة علمية عميقة على أساس التحقيق الاجتهادي، نهضة هدفها معرفة حقائق الإسلام وملامحه الأولى، وكذلك رفع مستوى الشعور والوعي الديني للمجتمع وتعريف الشريحة المتعلمة وجيلنا الشاب على الإسلام الذي بذل الاستعمارُ الثقافي الكثير من المساعي ليجعله غريباً عليه، ويقرّبه بإبعاده عنه إلى ثقافته المفروضة وبالتالي إليه!

كل المستنيرين الإسلاميين الذين يعانون ويحملون الهمّ في الظروف الراهنة بدافع إيمانهم بالإسلام ووعيهم للعصر والزمان، ويشعرون أنهم مسؤولون، يعتقدون أن قضية الإعلام يجب أن تتناسق مع البحوث والتحقيقات العلمية، ليتغذى الإعلام دوماً من هذا المصدر الولود المتجدد فتكتسب المواعظ والخطابة الدينية، التي غالباً ما تقوم على جوانب عاطفية خطابية تحذيرية تلقينية، عمقاً وأرصدةً علمية فكرية وتخرج عن حالتها الرتيبة المكرورة، وتتوفر العملية التبليغية الخطيرة وهي أكبر رسالة عالمية وبشرية للإسلام وأهم مسؤولية عينية لكل فرد مسلم وسرّ تقدم وحياة الإسلام وبقائه، على أرصدة وأسلحة توفرها لها التحقيقات والبحوث العلمية الإسلامية، وتواصل بها جهادها العقيدي كما هو حقّه وبالشكل المناسب في عالم اليوم الذي تحول إلى ساحة مضطربة لمعركة العقائد والمدارس.

فلقد أضحى الإسلام اليوم قاعدة بلا دفاع في الغرب وفي الأروقة شبه العلمية وشبه الفكرية وشبه الدينية بنحو ما، وفي أفريقيا السوداء التي

ينتشر فيها الإسلام وتشهد صراعاً بين المدارس الثلاث: الإسلامية والكاثوليكية والشيوعية بنحو آخر، وفي المجتمعات المسلمة بنحو ثالث، أضحى قاعدة بلا من يدافع عنها تتعرض للهجمات من كلّ الجبهات الأيديولوجية وحتى التيارات الفكرية المتخاصمة والمتناقضة. هذه الجبهات والتيارات تتسلّح كلها بأحدث الأسلحة العلمية والفلسفية والتقنيات الفنية والاجتماعية والإعلامية، ومن جهة ثانية تدعمها وتسندها قوى الاستعمار الاقتصادي والسياسي القوية في العالم. ومن الواضح في مثل هذه التجاذبات الخطيرة إلى أيّ حدّ تستطيع المواعظ والنصائح والخطابات البسيطة الأخلاقية والتلقينية بشكلها الحالي – والتي لا شكّ في فائدتها طبعاً – أن تنهض بالمسؤوليات الخطيرة في الدفاع العلمي والعقيدي عن هذه القاعدة، واستعراض قيمها المتعالية والإنسانية التي مسخوها، وحقائقها النيّرة الصانعة للحياة التي أبقوها مستورةً دفينة مجهولة في أعماق خرائب تاريخ هذه القاعدة، وإحياء هذه القاعدة في العصر الحاضر وعرضها على المؤمنين غير العارفين الضعفاء والمنكرين الواعين الأقوياء.

لنفتح باب الاجتهاد

يجب أن نعيد فتح باب الاجتهاد الفكري والعلمي المغلق في الإسلام. لحسن الحظ فإن أكبر مفخرة وميزة علمية للشيعة على امتداد تاريخ الفكر والثقافة الإسلاميين هي إبقاء باب الاجتهاد مفتوحاً. يتفوّق الفقه الشيعي على سائر المذاهب الفقهية التي أغلق فيها باب الاجتهاد بعد أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل، بأن باب التحقيق والبحث العلمي الجديد والاستنباط، بل وحتى وضع أحكام وقوانين جديدة، لا يزال مفتوحاً بوجه كل الأجيال والعصور، وذلك لكي لا يموت الفهم والفكر والعلم، ولكي تُحقِّق قوى التحقيق والبحث العلمي والاجتهاد الحرّ والتعقل والاستنباط والبحث والنظر وإبداء العلماء لمعتقداتهم ونظرياتهم المختلفة بشكل حرّ التكامل الفكري والعلمي الذي لا يتاح إلّا بفضل حرية البحث العلمي والتحقيق وتضارب المعتقدات والأفكار التي يطرحها الباحثون والمفكرون.

بهذا المعنى يمكن فهم العمق والقيمة الواقعية للكلام النبوي الذي قاله رسول الإسلام الأمّي في أحد وجوه معانيه: «اختلاف علماء أمّتي رحمة». ومن هنا يعتقد الشيعة أنه لو ذهب باحث مذهباً خاطئاً في اجتهاده

العلمي وأطلق نظريةً غير صائبة فإنه سينال أجره أيضاً[1] «للمصيب أجران وللمخطئ أجر واحد».

على هذا الأساس، خصّصت مؤسسة حسينية إرشاد التبليغية التعليمية البحثية، والتي أدركت منذ البداية أهمية البحوث والتحقيقات العلمية، وخصوصاً الفورية والضرورة الحيوية لهذه البحوث في معرفة الإسلام معرفةً علمية، ودراسة التاريخ والحضارة والثقافة الإسلامية دراسةً منهجية، خصّصت، وفي حدود الإمكانيات المحدودة التي توفرت لها في بداية عملها، جزءاً من مساعيها لهذا السبيل، ودعت جماعة من الباحثين الإسلاميين وفضلاء الحوزة العلمية ليحققوا ويبحثوا في حقول من الثقافة والعلوم الإسلامية، ويدوّنوا المحاضرات العلمية التي ألقيت في حسينية إرشاد ويشرحوها ويوضّحوها ويهمّشوا عليها ويكتبوا لها الحواشي، كي يعينوا بذلك مؤسسة إرشاد على عملية نشر الكتب والرسائل العلمية والتبليغية.

تعتقد مؤسسة إرشاد أنه يجب من أجل البدء بعملية التحقيق والبحث العلمي الاجتهادي على مستوى جامعي رفيع وبأسلوب فني

---

(١) وهذا المنحى في التفكير يدلّ على مدى قيمة وأهمية وكرامة البحث العلمي ودوره في ديننا، وكيف أن الإسلام كان يؤمن بما يسمى اليوم الروح العلمية والرؤية البحثية الحرة. أجرى أديسون ألفاً وسبعمائة ونيفاً من التجارب والاختبارات من أجل اختراع التلغراف اللاسلكي فجاءت كلها خاطئة وأصيب بالاكتئاب. وقال ناقد يفهم معنى البحث العلمي إن أديسون حقّق نجاحات علمية متألقة لأنه اكتشف أن هناك ألفاً وسبعمائة ونيفاً من الطرق لا تؤدي إلى صناعة التلغراف اللاسلكي!

منهجي علمي، يجب الاستعانة بكل الإمكانيات والإنجازات التي حققتها العلوم الإنسانية وخصوصاً علم التاريخ وعلم الأديان والحقوق والقانون والعلوم الاجتماعية والاقتصاد والدراسات الشرقية والدراسات الإسلامية والأنثروبولوجيا العلمية والفلسفية وتاريخ الحضارة والثقافة والعلوم والمحافل العلمية والبحثية في العالم المعاصر في سبيل التحقيق والدراسات العلمية لمدرسة الإسلام العقيدية وتاريخه وثقافته ومجتمعه وفلسفته وعلومه وفنونه وآدابه وحضارته، وإنجاز البحوث والدراسات الإسلامية على مستوى عالمي وبقيمة علمية وأساليب منهجية، وأن يبدأ علماء ومتخصصون إسلاميون العملَ الذي قام ويقوم به علماء ومستشرقون وخبراء في الإسلام من شرق العالم وغربه خلال القرنين الأخيرين – باعتبار أن أعمالهم لا يمكن الوثوق بها لأنهم غير مسلمين، وبعضهم يعانون من الأغراض السياسية والاستعمارية أو العصبيات الدينية أو الأحقاد القومية والعرقية والتاريخية – فالإسلاميون يشعرون بالمعنى الحقيقي للإسلام وروح الإيمان في أعماق فهمهم وقلوبهم، ولهم معرفتهم العلمية بالثقافة والحضارة والمدرسة الإسلامية، ولهم كذلك اطلاعهم على منهج البحث وروح العلم والتقدم والإنجازات التي سجّلتها مختلف الحقول العلمية، ولهم بالتالي خبرتهم بكلا الثقافتين، لأن أكبر عامل من عوامل النقص العلمي وانحطاط معرفتنا للإسلام هو أن الذين لهم معرفتهم بالثقافة الإسلامية غالباً ما لا يعرفون شيئاً عن الرؤية العلمية والعلوم ومناهج البحث الحديثة، والذين لهم خبرتهم بالثقافة العصرية واطلاعهم على المنهج الحديث في البحوث العلمية تراهم غرباء على

الإسلام. وعليه فأكبر هدف علمي وإسلامي نتغيّاه في بداية بحوثنا العلمية الإسلامية هو أن يفتح هذان الفريقان بمعونة بعضهما طريقاً تصبّ فيه كافة الطاقات العلمية والإنجازات البحثية العصرية في خدمة معرفة الإسلام والثقافة الإسلامية معرفةً حقيقية.

وبالتالي فعلى أساس:

١ — فورية وضرورة العمل البحثي التحقيقي العلمي في الموضوعات الإسلامية.

٢ — المشاهدة النظرية والتفكير والبحث في الظواهر الطبيعية وماضي الشعوب والأمم والأقوام ومصيرها، وتحولات التاريخ والقوى والأديان والشخصيات والأفكار والأعمال الماضية، والتي جرى التأكيد عليها وتكرارها في القرآن على شكل أوامر دينية وواجبات إسلامية، وكان النظر والتفكير والتعقل والعلم والقلم والكتابة والتعليم وفهم الحقيقة والوعي والتفقّه في الدين من المفاهيم المقدسة والركائز الأساسية في النصوص القرآنية، وقد أوصى وأمر رسول الإسلام أتباعه أكثر من أيّ زعيم ديني وأخلاقي واجتماعي آخر في تاريخ الإنسانية بكسب العلم على امتداد عمر الإنسان، ووجوب طلبه على كل امرأة ورجل، ومحاولة استقائه واقتباسه حتى لو كان في أقصى أنحاء العالم، بل حتى من الكفار، وكان أئمة الشيعة وكبار الزعماء والعلماء الإسلاميين مؤسسين لحوزات علمية كبيرة وروّاد نهضات فكرية وحملة رايات الانتفاع من علوم وتجارب وكنوز كل الثقافات والحضارات والأديان والشعوب المتقدِّمة في العالم.

٣ – وجود هاوية تاريخية سحيقة مظلمة تفصل بيننا وبين النبع الأول للإسلام الحقيقي، وقد اختلطت روحُ الإسلام وأفكاره طوال أربعة عشر قرناً من تاريخه بترسّبات ووحول وعناصر من أراضي وأنهار ثقافات وأديان وأفكار أجنبية في موروثات قومية وأساطير ومعتقدات وراثية لشعوب شتى دخلت الإسلام، وكذلك أفكار وآراء مدارس فلسفية وعرفانية وعلمية غير إسلامية امتزجت بالإسلام على امتداد التاريخ، مضافاً إلى معتقدات وتسويغات وتبريرات ونظريات اجترحها علماء الإسلام وكانت متأثرة بعلوم العصر ومعتقداته، فصاغوا الإسلام في ضوء تربيتهم ونشأتهم المحلية والوطنية في قوالب أذواقهم ومشاعرهم وعقلياتهم الخاصة.

٤ – الاجتهاد، وهو العامل الوحيد في تطور المعرفة العلمية التقدمية للإسلام وتكاملها، وضمانة حياةٍ وحركيةٍ وعصرنةٍ دائمة للعلوم والأحكام الإسلامية في المسار المتحول المتغير للتاريخ والمجتمع البشري، يعدّ من مميزات الروح العلمية والرؤية الاجتماعية في الإسلام، ويعتبر على وجه الخصوص من أكبر امتيازات الثقافة والفقه الشيعيين.

٥ – ضرورة إثراء عملية التبليغ الإسلامي في العصر الحاضر، وهو عصر الحروب والمعارك بين المعتقدات القوية، وتزلزل الأفكار والقيم الأخلاقية، وسقوط الثقافات والأديان والمدارس القديمة، وزمن اضطراب الروح والفراغ الفكري، وفقدان الإيمان، وفي الوقت ذاته زمن أزمة الضمير الإنساني، وهموم البحث عن إيمانٍ جديد واختياره، والميل نحو ينبوع النزعة المعنوية في الشرق، والحاجة إلى الروح، ضرورة إثراء التبليغ الإسلامي في مثل

هذا العصر باستخراج واستنباط علمي للأرصدة الغنية وكنوز الحقائق الجمّة في المدرسة والثقافة الإسلامية، وأهمية أن تتعرف هذه العملية التبليغية على لغة العصر وأسلحته العلمية واحتياجات البشر فيه، لا سيما جيلنا الشاب، والتحولات والتطورات والآفات والتغييرات الروحية والمعنوية التي تعتمل وتجرى في المجتمعات الإسلامية، وتتعرف على الإسلام كما كان وتعرِّفه بالشكل الذي يمكن لعصرنا أن يسمعه ويفهمه.

٦ – كثيراً ما يساوون بين الإسلام كأيديولوجيا (أي كعقيدة وإيمان واتجاه فكري ومسؤولية اجتماعية ورؤية كونية معينة) وبين الإسلام كثقافة وحضارة تاريخية (أي بوصفه مجموعة من العلوم والمعارف والأفكار والآثار العلمية والفلسفية والأخلاقية الأدبية والعرفانية التأمت طوال أربعة عشر قرناً من الزمان بجهود علماء ومفكرين ونوابغ مسلمين بذلوها في الإسلام أو حول الإسلام)، وقد امتزج هذان المفهومان إلى درجة أنه لم يعد يفصل بينهما سوى القلائل من الأفراد.

٧ – عموم مجتمعنا بقي وفياً للدين، أما شريحتنا المتعلمة الجديدة التي تشكّل الآن الطبقة الفكرية (الأنتلكتويل) في مجتمعنا، وبسبب نشأتها وترعرعها على القيم والمعايير الثقافية الغربية بالمطلق، فلا علم لها بالقيم العلمية الإسلامية المحصورة في قوالب العلوم القديمة، والتي لا يعرفها سوى جماعة متخصّصة ليست لها أية صلة بشريحة المتعلمين الجدد هذه. وقد أدّت هذه الثنائية إلى تجزئة الوحدة الاجتماعية وانفصال قلب مجتمعنا عن دماغه. والسبيل الوحيد لتجديد حياة مجتمعنا وسلامته هو أن يخرج الإيمان

الديني لعموم الناس عن شكله الوراثي التقليدي اللاواعي، ويكتسب وعياً ونباهة وشعوراً ومعرفة جليّة باعثة على المسؤولية، وأن يعالج جيلنا الجديد وطبقتنا المفكرة المتعلمة عبثية الروح، وخواء الشخصية المعنوية، وسقوط الأصالة، والاغتراب عن الذات، وعبادة الآخر، وشخصيتها المقلدة المتشبِّهة، يعالجها بفضل روح الإيمان، والتعرّف العلمي المنطقي على الإسلام، والاغتراف من الثقافة والقيم الإسلامية الأصيلة المتسامية الثرّة، وأن تخرج العلوم الإسلامية من أسوارها القديمة المغلقة وتعايش زماننا وعصرنا وتتواجد فيه وتتعرف على روح الإنسان المعاصر وآلامه واحتياجاته ولغته وعلومه، وتستعيد روحها المفكرة التجديدية الخلاقة التقدمية الاجتهادية المتوثبة.

المركز

يتشكل هذا القسم بإشراف ومسؤولية مباشرة من هيئة مكوَّنة من شخصيات بارزة لكل واحد منهم اختصاصه في حقل علمي معين من قبيل الدين والتاريخ والثقافة والحضارة الإسلامية، أو له اختصاصه في أحد العلوم والمجالات الحديثة على أن تكون الروح الإنسانية والرؤية الواضحة والإيمان الديني والوعي الإسلامي، وهو الضابطة الأساسية لكل مفكر ملتزم، باديةً جلية في بحوثهم العلمية وحقلهم التخصّصي.

يتمّ انتخاب أعضاء الهيئة العليا للبحث العلمي على أساس ضابطتين:

يُدعى عددٌ منهم بوصفهم شخصيات علمية مميزة يشاركون في جميع البحوث والقرارات ولهم حق التصويت.

البعض ينصّبون كمسؤولين عن المجاميع المختلفة ويكونوا بذلك تلقائياً في الهيئة العليا.

قسم البحث العلمي له ست مجاميع بحثية تدار كلّ واحدة منها بإشراف أحد العلماء المتخصّصين، ويشكل مسؤولو المجاميع «المجلس البحثي الأعلى»، وهم الذين يحدّدون الأهداف العامّة ويقومون بمهمة التنسيق بين المجاميع والمشارع والبرامج العلمية البحثية:

١ — مجموعة الدراسات الإسلامية

٢ — مجموعة فلسفة التاريخ وتاريخ الإسلام

٣ — مجموعة الثقافة والعلوم الإسلامية

٤ — مجموعة العلوم الاجتماعية

٥ — مجموعة البلدان الإسلامية

٦ — مجموعة الآداب والفنون

١ — مجموعة الدراسات الإسلامية

الهدف الأساس لهذه المجموعة هو معرفة الإسلام معرفة حقيقية كدين، أي كمجموعة من المعتقدات والأفكار والروح والرؤية وفلسفة الأحكام والتفسير والتحليل والتسويغ المنطقي التوثيقي لكل العناصر التي تشكّل المدرسة الإسلامية.

ولا مراء في أن العلوم الإسلامية والإنسانية كافة من قبيل الكلام والرجال والفقه والتاريخ وعلم الاجتماع والفلسفة وغير ذلك لها دورها وحصّتها في معرفة الإسلام، بيد أن المصادر الأساسية للبحث هي تلك المصادر الخمسة التي نبع منها الإسلام الزلال الأول أو التي يُعرف بها، وهي:

أ – الله ب – القرآن ج – الرسول د – الأولياء النموذجيون هـ – المدينة

أ – الله

١ – مبدأ العبودية في روح الإنسان وفطرته.

نظريات علماء النفس، وعلماء العلوم الاجتماعية، والفلاسفة، وعلماء من قبيل كارل، ولوكنت دونويي، ويونغ، وانشتاين، وبلانك، وغينون، وداروين.

٢ – تاريخ عبادة الله منذ الأيام الأولى لظهور النوع البشري على الأرض.

القبائل البدائية، الأديان البدائية، علم الآثار وما قبل التاريخ، علم اجتماع الأقوام المتوحّشة، الألواح والآثار والأساطير القديمة، الثقافات والحضارات والأديان التاريخية، ماضي تحول وتكامل مفهوم الله خلال أحقاب التاريخ الثقافية.

٣ – علم الله المقارن: استخراج الصفات الثبوتية والسلبية لله من النص القرآني والنصوص الإسلامية الأولى (الأحاديث والروايات وخطب الأولياء الأوائل)، وبحوث وتحقيقات مشابهة حول معبودين آخرين في الأديان الكبرى (فيشنو، كريشنا، أهورا مزدا، زيوس، مهر، ايندرا، بعل، شمس، آختون، جوبيتر، يهوه، المسيح).

٤ – التوحيد: الوجهة الفلسفية والعلمية والدينية للتوحيد، العامل النفسي والأخلاقي والإنساني للتوحيد، دور علم الاجتماع المناهض للتمييز الطبقي والعرقي والقومي والاحتكاري في التوحيد. بداية الفكر التوحيدي وتطوره وتكامله وتشخيصه في مسار التاريخ منذ عصر البداوة إلى العصر الحاضر. دور التوحيد في الكفاح التاريخي للبشر والأفكار. التوحيد كرؤية كونية وأخلاقية. مقارنته بالرؤى الكونية الأخرى (وحدة الوجود، الثنوية، التثليث، تعدّد الآلهة، المادية، مذهب الشك،[١] العبثية،[٢] التصوف، الواقعية، المذهب الطبيعي، الراديكالية، العدمية، المثالية، العلموية (عبادة العلم)، الأومانية (أصالة الإنسان)، أصالة الحياة والاستهلاك).

٥ – ترجمة وتعريف وطرح نظريات كبار علماء الإسلام والمفكرين في المذاهب الكبرى، والفلاسفة والكتاب المشهورين حول الروح والرؤية المعنوية والدينية والشعور العرفاني، والآثار الأدبية والفنية الكبرى، والثقافة الإلهية، والشعور الديني.

---

(1) Scepticisme.
(2) Absurdité.

ترجمة وتعريف نظريات العلماء والفلاسفة وعلماء النفس وعلماء الاجتماع والكتّاب والفنانين ممن كانت لهم إنجازاتهم المميزة في بحوثهم وأفكارهم حول الله والرؤية الكونية الدينية، والإيمان والشعور العرفاني، أو في مضمار الدحض العلمي والعقيدي للمدارس والأفكار اللادينية المنكِرة لله.

٦ – جميع هذه البحوث والتحقيقات العلمية والاجتماعية للنظريات والمدارس يجب أن تتحرك في طريق طرح ملامح الله على الأذهان المعاصرة بالشكل الذي كانت عليه في الإسلام الأول ولدى أوائل من عرفوا الإسلام الذين أخذوا معرفتهم من المصدر مباشرة، بحيث يصار إلى تصحيح الأفكار الدينية التي تحمل مفهوماً غامضاً متشابهاً وربما مختلطاً عن الله والتوحيد والشعور الديني، وأيضاً لكي تتعرف الجماعات الأجنبية على الدين الذي تعاديه بسبب معرفتها المغلوطة له، أو لأنها بقيت بعيدة عنه غير مكترثة له لعدم توفرها على أية معرفة له وعدم ارتباطها به أساساً، لكي تتعرف على الإيمان العلمي الواعي التقدمي للدين، وخصوصاً كي تتاح عبر المعرفة البحثية التحقيقية العميقة الكاملة لإله الإسلام وكيفية الإيمان به ومعرفته وعبادته، والعلاقة بينه وبين الإنسان، وبينه وبين العالم، وكذلك الطريق الذي يقدمه القرآن لمعرفة الله والوصول إليه كمنهج علمي وفكري خاص، كي تتاح بذلك معرفةُ الوجه الحقيقي للإسلام كدين وروح واتجاهٍ، لأن معرفة إله كل دين أفضل سبيل لمعرفة ذلك الدين نفسه واكتشاف أبرز بُعدٍ صانع لذلك الدين، لأن معبود كل دين هو قلب ذلك الدين واتجاهه وقبلته، والمحور الأساس الذي تتكون حوله كل معتقدات

ذلك الدين ومبانيه وقيمه وخصوصياته وشخصية نبيّه والروح الأصلية لكتابه وشخصية أتباعه ومعنى وهدف دعوته ورسالته.

ب – القرآن

١ – السعي لإعداد ترجمة دقيقة وبليغة للقرآن الكريم إلى الفارسية تتمتع بدقة علمية وتمحيص تحقيقي وفهم صحيح للمفاهيم وحتى التعابير والكلمات القرآنية. وتمتاز أيضاً، من حيث النقل للفارسية، بجمالية أدبية وذوق تحريري إنشائي في اختيار الكلمات وحبكة العبارات، لكي يستطيع المتكلمون بالفارسية وخصوصاً المتعلمين والخريجين منهم التعرفَ على النص القرآني بسهولة. وفي هذا السبيل ينبغي الاستعانة بكل التفاسير الإسلامية والبحوث اللغوية والأدبية والروايات والقصص التاريخية والبحوث المتأخّرة للمستشرقين ومترجمي القرآن إلى اللغات الغربية، وكذلك الكتّاب حسني الإنشاء الذين يجيدون الكتابة باللغة الفارسية العصرية.

٢ – تعريف وترجمة كافة البحوث التي أنجزها علماء ومتخصصون مسلمون وغير مسلمين بلغات مختلفة حول القرآن أو أحد الموضوعات المتعلقة بقالب القرآن أو أسلوبه أو محتواه، من قبيل تدوين القرآن والأسلوب الأدبي والقصص والتصوير والموسيقى والموضوعات والقَسَم والقضايا التاريخية والقيم العلمية والنزعة الطبيعية والألفاظ والحروف المقطعة ومقارنة القرآن بنصوص الأديان الأخرى.

٣ – محاولة تعريف المحافل الدينية والعلمية تعريفاً واعياً على النص القرآني بحيث يشيع فهمه ومطالعته وتدريسه وتفسيره، وتتحقق العودة إلى القرآن بوصفه الطريق الوحيد للنجاة واليقظة والوعي ومعرفة الإسلام الصحيح.

٤ – في الوقت الحاضر تجرى محاولات فردية متفرقة غير منتظمة من قبل كثير من علمائنا الخبراء في القرآن أو الشخصيات العلمية البارزة التي أجرت بحوثاً قيمة نادرة حول القرآن، والذين توقّفوا عن مواصلة أعمالهم وتدوينها بسبب عدم توفر الإمكانيات والظروف المادية والمعنوية الملائمة. ومن الأهداف الأساسية لهذه المجموعة تنظيم برامج لدعوة هؤلاء الباحثين الكبار وتنسيق بحوثهم وجهودهم وتقديم العون لهم لاستكمال وتدوين ونشر أعمالهم، ليكتسب مجتمعنا بذلك معرفة علمية أكبر بأبعاد القرآن المختلفة.

٥ – الخروج من مجمل هذه المساعي والجهود وعلى مختلف المستويات بأرضية علمية وخامات لازمة لإعداد وتدوين دورة من تفسيرٍ جامع مبسّط دقيق تنويرى لجيل المتعلمين والمستنيرين.

٦ – معرفة القيمة الفكرية والعلمية والأخلاقية والاجتماعية والتاريخية والفنية والأدبية للقرآن، وإيجاد نهضة فكرية وعلمية لمعرفة القرآن، ونشر دراسات ورسائل وكتب بحثية وعلمية بلغة عصرية تعبّر عن روح العصر وتصوراته العلمية، لإخراج هذا الكتاب العظيم عن حدود التبرّك والتيمّن أو اختصاص عدد قليل من العلماء والمفسرين، وعرضه على الضمير والوعي العام.

ج – الرسول

السيرة

١ – ترجمة النصوص الإسلامية المعتبرة في سيرة رسول الإسلام العظيم وشرحها وإيضاحها وتحشيتها علمياً ونقدها.

٢ – ترجمة وتعريف ونقد بحوث المستشرقين والخبراء بالإسلام والكتّاب غير المسلمين ممن قدّموا أعمالاً بارزة حول حياة رسول الإسلام وشخصيته، والتأشير على النزعات المغرضة المتعصبة دينياً والمعادية للدين أو الاستعمارية التي تسرّبت لهذه الأعمال.

٣ – دراسة الأبعاد المختلفة لشخصية رسول الإسلام دراسة علمية وسوسيولوجية ونفسية وتحليلية، ومناقشة القضايا والنقاط الخلافية في حياته الفردية والاجتماعية والسياسية مناقشةً منطقية استدلالية تاريخية، ومعالجة الشبهات والاتهامات التي نشرت بفعل الخصومات الكنسية والاستعمارية والأحقاد التاريخية والقومية حول حياته في أذهان الناس في العالم.

٤ – تدوين ونشر سيرة جامعة موثقة تحليلية على أساس جميع المعلومات والمعطيات التاريخية والبحوث والنظريات العلمية بمنهجية تحليلية علمية ونقد تاريخي بعيداً عن ضيق الأفق الطائفي والقومي وبلغة فارسية عصرية جذابة حيّة جزلة بحيث يصار إلى إيضاح الملامح الحقيقية لرسول الإسلام وزوايا وأبعاد وأسرار روحه وشخصيته العظيمة، أو لا أقل من أن يتعرّف أتباعُهُ على حياة زعيمهم الكبير وأفكاره وشخصيته الأخلاقية والإنسانية.

السُّنّة

٥ – تاريخ تدوين الحديث، والمحدثون، ودور الحديث، ووضْع الأحاديث.

٦ – علم الحديث، أنواع الحديث، منهج تحقيق الأحاديث واستنباطها، النقد الفني للحديث.

٧ – علم الرواية، علم الدراية، مدارس الحديث المختلفة، الينابيع الأولى لرواية الحديث.

٨ – المصادر والمراجع الأصلية للحديث، تقسيم الأحاديث موضوعياً، الراوي المباشر، سلسلة السند.

٩ – المدرسة الإخبارية، المدرسة العقلية والقياسية، مدرسة الشيعة الإمامية، الشيعة والسنّة، رواية الإمام والحديث النبوي، الملاكات الأربعة: الكتاب، السنة، الإجماع، العقل.

١٠ – إعادة النظر العلمية في الأساليب القديمة لنقد الحديث بمعونة المنهج الجديد في النقد الموضوعي والتاريخي.

١١ – النقد العلمي والتاريخي لكتب الأخبار المتوفرة الآن بين أيدي الناس، والتي تروى من قبل الفضلاء والوعاظ من دون تمحيص نقدي لمدى صحّة الروايات وسقمها، وتساهم في تكوين معتقدات الناس وأفكارهم الدينية.

١٢ – تحقيق الأحاديث ومصادر نقلها تحقيقاً اجتهادياً ونقدياً من أجل جمع وتدوين كتاب توثيقي يضمّ أوثق وأنفع الأحاديث مما ينفع في

تنوير وتوعية المجتمع الحالي. مثل هذا الكتاب المصحوب بترجمة واضحة جزلة للنصوص وشروح وإيضاحات لمفاهيم الأحاديث يمكن أن يمثل للمتعلمين والخريجين وقراء الكتب والمبلغين غير المتخصصين بديلاً مناسباً للكتب التي لا يمكن للمتعلمين والخريجين أو من الصعب عليهم الاستفادة منها، أو أن النقل غير المدروس للأحاديث الصحيحة والسقيمة من قبل الوعاظ الذين لا يتحلّون بخبرة روائية وتخصصية لازمة لتشخيص الصحيح من السقيم غالباً ما يترك في أذهان المؤمنين آثاراً في غير محلها، ويوفّر للمنكرين والمعاندين ذرائع في محلها. ففي الماضي كان العلماء الشيعة الواعون المدققون الذين مزجوا الاحتياطات الدينية الصعبة بالتدقيقات والتشددات العلمية، لا يسمحون إلّا لعدد قليل ممن يمتلكون «إجازة رواية الحديث»[1] بنقل الأحاديث من كتب الأخبار، أمّا الآن حيث ارتفع هذا القيد العلمي الضروري، وكثيراً ما يعمد الذين يتخلفون عن مواصلة دراسة العلوم الإسلامية، أي الذين يرسبون في الحوزات العلمية حسب المصطلح الدارج في هذا الزمن، كثيراً ما يعمدون إلى التبليغ ورواية الأحاديث، فيبدو أن الواجب الأهم والأكثر فوريةً وضرورةً على عاتق الباحثين المحققين المتخصصين الواعين العارفين لروح الإسلام ومنهج النقد العلمي والتاريخي هو تدوين كتب حديثية يتمّ اختيارها بمنهج علمي تحليلي، وتأليف كتب

(١) الإجازة التي كانت في حكم الدبلوم العالي والتي تعبر عن الضوابط الرسمية في حوزاتنا العلمية هي نفسها التي ترجمها الأوربيون لاحقاً إلى كلمة «ليسانس» (بكلوريوس)، والاجتهاد إلى «دكتوراه» و... .

حديثية على أساس تصنيفات موضوعية لينتفع منها كل الدارسين والمتعلمين والخريجين والباحثين العلميين في مختلف الفروع العلمية، وكذلك الذين ينشدون معرفة الإسلام ورسول الإسلام والأفكار الكبرى وكلام الوحي معرفةً حقيقية، وتكون مراجع ومصادر بحثية دراسية لكل المفكرين والخبراء والكتاب، ويخرج بها كلام الرسول عن أسوار الكتب القديمة والمصادر التخصصية الصعبة الاستخدام، ويتوفر لعموم الناس بمختلف مستوياتهم. ففي الوقت الحاضر وخلافاً للماضي اكتسب العلم طابعاً عاماً، وحتى في مجتمعنا المتخلف هذا صارت أعظم الآثار الأدبية والمدارس الفلسفية والنصوص العلمية والدينية والفنية وروائع كبار الكتاب العالميين متوفرة لجميع المتعلمين وحتى تلاميذ المدارس بلغة مبسّطة مفهومة بعيدة عن الزوائد التخصصية والاصطلاحية. وفي مثل هذه الظروف والأحوال يُعدُّ عدم وجود كتاب مبسّط عن أفكار رسول الإسلام فاجعةً عقيدية ودينية وأخلاقية جسيمة تضع الباحثين أمام مسؤولية كبيرة أكثر من أيّ وقت آخر، وتجعل العمل والمبادرة لتلافي هذا التقصير وردم هذه الثغرة أكثر فوريةً وحيويةً.

د: الأولياء النموذجيون

كل دين أو مدرسة عقيدية وأخلاقية هي معمل لصناعة الإنسان. يمكن معرفة الخصوصيات والقيمة الواقعية لمعمل ما عن طريقين: الطريق الأول بمقدار ما هو طريق طويل ومعقد وصعب فهو أيضاً مشكوك فيه وغير موثوق، وهو أن ندرس المعمل نفسه مباشرة وننظر في أصوله العلمية

وآليات عمله ووسائله وشعبه المختلفة وحساباته الرياضية وأساليبه التقنية، ونقيّم على أساس أصوله العلمية والنظرية الصناعية وقوانين الميكانيك والرياضيات كفاءته، ونصل بشأنه إلى نتيجة معينة. وهذه العملية في كل الأحوال غير متاحة إلّا لعدد قليل من المتخصصين.

الطريق الثاني على العكس من الأول بمقدار ما هو بسيط وقصير فإن نتيجته موثوقة وصريحة وواضحة جداً، وهو أن نقيّم كفاءته التقنية والعلمية ودرجة نجاحه وصحّة ادعاءاته في ضوء عدد من بضائعه النموذجية التي صنعها وقدّمها لعموم الناس، ونقارنها بالنماذج الشبيهة من معامل مماثلة. هذه عملية جدّ سهلة وممكنة من قبل كل الذين لا يتوفرون على التخصص التقني والعلمي اللازم لكنهم يتحلون بشعور وإحساس عادي سليم. ومثال ذلك أن سائق سيارة أمّي لا يقدر على معرفة المعامل العظيمة لرولز رايس البريطانية، ومرسدس بنز الألمانية، ومسكوفيتش السوفيتية، وتشخيص مستوياتها التقنية والعلمية ومقارنتها بعضها ببعض، لكنه يستطيع عن طريق ثلاث سيارات نموذجية صنعتها هذه المعامل الثلاثة العظيمة المعقّدة أن يعرف بسهولة وصحّة ودقةٍ تقنيةٍ قيمةَ كلّ واحدة من هذه السيارات وخصوصياتها التقنية ومتانتها وموثوقيتها ومواصفاتها وترجيحاتها الفنية، ويختار واحدة منها.

وعليه، فالطريق الأسهل والأوثق والأعم لمعرفة دين ما، واكتشاف قيمته الفكرية ونجاحاته الإنسانية والعملية وتفوّقه على الأديان المشابهة هو أن نتعرف على النماذج التربوية والإنسانية التي صنعها وأنشأها وقدّمها

للتاريخ والإنسانية، ونقارنها بالمتربّين النموذجيين في مدارس دينية أو فلسفية أو اجتماعية أخرى، وعندئذ نصل إلى نتيجة وحكم واضح مكين.

معرفة النماذج الإنسانية في المدرسة التربوية والدينية الإسلامية، وهم بحدّ ذاتهم الإسلام المجسّم وعلى حدّ تعبير الإمام عليّ «القرآن الناطق»، تمثل معرفةً عينية محسوسة للإسلام، وتعبّر أيضاً عن درجة النجاح والإمكانيات العملية والتحقق العيني للمثاليات والقيم المعنوية في الإسلام، وبها يمكن إثبات الحقيقة الكبرى القائلة إن الإسلام ليس يوتوبيا ولا مدرسة مثالية وذهنية لا يمكن تحقيقها عينياً وعملياً، فالدليل على ذلك وكيفية ذلك هي هذه الأمثلة الواقعية التي جسدت الإسلام في ذاتها وروحها ومشاعرها وأفكارها وسلوكها وكل لحظات حياتها.

هؤلاء عبارة عن أشخاص أوصى بهم شخص رسول الإسلام بهذا العنوان، وعرضهم على الناس، وشهد التاريخ بنموذجيتهم، ويعترف بذلك أيّ باحث مطلع منصف يمكنه تشخيص الفضائل الإنسانية والقيم الروحية والأخلاقية غير العادية.

١ – العترة: عائلة مذهلة، الأبُ فيها عليّ، والأمّ فاطمة، والأبناء الحسن والحسين، والبنت زينب. وجوه مقدسة بزغت من هذا البيت، فكانت في العصر الذين تم فيه إحياء الجاهلية والأرستقراطية العربية، وتبدلت القيادة النبوية الإسلامية إلى ما يشبه الملكيات الاستبدادية الساسانية والحكومات المتجبرّة في الامبراطورية الرومانية، وامتزجت فيه المدارس والأديان والمذاهب والأساطير القومية والأفكار الموضوعة بعضها

ببعض على يد السياسة والخدعة وعبادة القبيلة والأحقاد والاستغلال الطبقي، ووُظّفَ الإسلامُ أشدّ التوظيف لخدمة أجهزة الجور والاستبداد والخلافة وطبقة النخّاسين والناهبين، في مثل هذه الظروف حافظ هؤلاء على الاتجاه الأول للإسلام وحرسوا مدرسة مُحَمَّد ﷺ بدمائهم وصبرهم على السجون وجهادهم الفكري والعلمي. وكانوا وسط طوفان عارم تائه من الفلسفات اليونانية والتصوف الهندي والزهد والرهبنة المسيحية المنحرفة، والأساطير القومية الإيرانية، وموضوعات وتزييفات العلماء ووعاظ السلاطين ورجال دين الدرهم والدينار في البلاط، كانوا طوال قرنين ونصف القرن طافحة بالاضطرابات والدماء الدليلَ على الدرب وأركان البلاد وساسة العباد الحقيقيين، والقمم الشامخة الصبورة أمام سيول الدماء وطغيان الجور والكذب ونهب خبز الناس وإيمانهم. من المخجل أنه لو كان في اللغة الفارسية، وهي لغة أتباع هؤلاء العظماء رسمياً، عددٌ قليل من الكتب في معرفة واحد أو اثنين من هؤلاء فهي كتب مترجمة، ومترجمة غالباً عن كتّاب مسيحيين! جورج جرداق وسليمان كتاني و ... ! حبّ هؤلاء ومودّتهم لا تكفي لشعب من الشعوب، إنما معرفتهم هي التي تمنح الروح والنور والإنسانية وتدلّ على الطريق. في هذا السبيل ينبغي على العلماء والباحثين والكتاب والمختصّين في تاريخ الإسلام أن يوظفوا كل إمكانياتهم وطاقاتهم لمعرفة مدرسة هؤلاء الأفراد النموذجيين في الإسلام وأسلوب حياتهم وتوجّهاتهم الاجتماعية ودورهم التاريخي والثقافي الكبير الذي اضطلعوا به.

٢ – تحليل الأمّة والإمامة تحليلاً تاريخياً فلسفياً وعقيدياً واجتماعياً وعلمياً.

٣ – حياة الإمام عليّ عليه السلام وشخصيته ودوره السياسي والفكري والاجتماعي، وترجمة أعمال الكتّاب الأجانب في هذا الخصوص، والبدء بتحقيق تاريخي حوله ودراسة التجليات المتعددة لروحه المتعددة الأبعاد من قبل باحثين وكتّاب متخصصين.

٤ – مسابقة عالمية في تأليف أفضل كتاب يعرِّف شخصية الإمام عليّ، وتعيين جوائز لائقة تمنح للفائز الأول والثاني.

٥ – تدوين كامل لنهج البلاغة، وترجمته ترجمة دقيقة جميلة للغة الفارسية بالتعاون مع عدد من خبراء اللغة العربية والمؤرخين والكتّاب.

٦ – تدوين حياة كلّ واحد من الأئمة بأسلوب علمي وتحليلي جديد يشمل البيئة الاجتماعية والعصر السياسي والفكري والثقافي، واستعراض سيرهم وآثارهم وأفكارهم وكلماتهم ودورهم الاجتماعي والسياسي والعقيدي.

٧ – بحث وتحقيق مستقل وخاص حول شخصية الإمام الصادق وأفكاره ومدرسته العلمية، وأثره الفكري والاجتماعي، وتلامذة حوزته العلمية والحقول التي كان يدرِّسها فيها، وتقييم النهضة العلمية الكبرى التي أوجدها في تاريخ الإسلام.

٨ – ابتكار وسام علمي وفكري خاص باسم «وسام عليّ» بمبلغ مناسب وثابت يمنح لكل شاعر وكاتب ومحقق وخادم ينجز عملاً مميزاً في مدرسة الإمام عليّ. إنه وسام يمكن منحه لأيّ إيراني أو أجنبي، مسلم أو غير مسلم، في إطار مراسم حافلة لتكريمه.

٩ – تدوين برنامج دقيق وتفصيلي لتأليف كتب حول سير وشخصيات كل واحد من أصحاب الرسول ﷺ الكبار وروّاد الإسلام المضحّين المكرّمين في القرون الأولى. تقوم الهيئة العليا للبحوث باختيار هذه الشخصيات، وبعد المصادقة عليهم تعرضهم على هذه المجموعة. وتدعو المجموعة الفضلاء والكتّاب الجديرين بهذه الخدمة وتعهد بكتابة حياة وسيرة كل واحد من الصحابة والرواد الكبار المحددين لأحد الباحثين أو عدد من الباحثين. وتتولى في الوقت نفسه مهمات التوجيه العلمي وتوفير المصادر وتعيين أسلوب العمل والدراسة والبحث وتهيأة الظروف والإمكانيات المادية والمعنوية لهم، وتُبرِم مع كل واحد منهم عقداً مستقلاً.

هـ - المدينة[1]

رسول الإسلام هو الرسول الوحيد الذي كتب له التوفيق في أن يصنع بيديه مجتمعه المثالي على أساس مدرسة دينه العقيدية – العملية. أما الأنبياء والرسل الآخرون فبقوا في مرحلة تبليغ رسالتهم، وبقيت كل مساعيهم محدودة بطرح مدرستهم أو إطلاق كتابهم وتسليمه ليد الزمان،

(1) Cite.

وتربية عدد من الأفراد والشخصيات. وحتى موسى الذي حمل بنفسه السلاح وثار لتحرير قومه عملياً من أسر الأجنبي، وأرسى دعائم مجتمع مثالي في «الأرض الموعودة»، لم يستطع هو نفسه البدء بهذه العملية والدخول في هذه المرحلة، وتوفي في وسط الطريق قبل أن يصل بنو إسرائيل إلى بيت المقدس، وكان شمعون هو الذي واصل المشروع ودخل المدينة ليؤسس المجتمع اليهودي. ما كان سائداً دوماً هو إمّا أن الأجيال اللاحقة لأتباع الدين هي التي تبني مجتمعها، أو أن مجتمعاً مبنياً جاهزاً متكوِّناً مسبقاً يعتنق الدين، كما اعتنق المجتمع الرومي المسيحية بنفس نظامه الاقتصادي – السياسي – الاجتماعي القديم في عصر الامبراطورية المشركة، فغيّر الامبراطور دينه من دون أن يغيّر المجتمع الامبراطوري!

بيد أن رسول الإسلام شيّد مجتمعاً إلى جانب تربيته وإعداده لأفراد وشخوص وحتى تكوينه وتكميله للقرآن والدين. لا يتحدث رسول الإسلام عن مدينة فاضلة وعن مدينة الله أو أرض موعودة، بل وأسّس لها بنفسه، وليس بشكل ذهني وخيالي وكمجرد تنبؤات مستقبلية، بل أقامها وعرضها بشكل عيني. لقد شيّد مدينته الفاضلة لا بالكلمات بل بالطين والتراب والإنسان والقانون.

هذه المدينة الفاضلة أي المجتمع الإسلامي العيني هي «مدينة» الرسول. مجتمع صغير نموذجي (مثالي) يمكن بدراسته اكتشاف الرؤية الاجتماعية للإسلام وفلسفته السياسية وتصوراته عن المجتمع البشري، والتحقيق في أسلوب الرسول ومنهاجه في بداية تشييده لذلك المجتمع

وكيفية عمله وبناه التحتية وطبقاته وجماعاته وعلاقاته الفردية والجماعية ومؤسساته الاجتماعية والحقوقية ومقام الفرد ودور العقيدة والأخلاق والدين والحكومة في المجتمع، والعلاقة بين نظام الحكم والناس، والعلاقة بين السياسة والاقتصاد والدين، وبالتالي علاقة المجتمع بالأقليات الدينية أو المجتمعات والقوى الخارجية، يمكن التحقيق في كل ذلك بدقة وبشكل عيني وواقعي. وعليه فمعرفة المدينة كمجتمع نموذجي وكمجسّم مصغّر للمجتمع الإسلامي هي معرفة الإسلام، كما أنها تهدي إلى معرفة الشخصيات النموذجية في الإسلام بوصفه ديناً يحاول صناعة الإنسان. معرفة المدينة، خصوصاً في السنين العشر الأولى، هي معرفة الإسلام كمدرسة تريد صناعة أمّة ومجتمع بشري قائم على أيديولوجيا وحركة وقيادة ثورية دائمية صانعة للفرد، وله في الوقت نفسه مسؤولياته ورسالته العالمية.

١ – تاريخ مكّة: التحول الأساسي في اقتصاد مكة وموقعها العالمي في السنوات القريبة من ظهور الرسول، ومجتمع مكّة وشعبها وعوائلها والأقليات فيها والأجانب والعبيد وقبائل الكعبة، والدور الاجتماعي والديني والاقتصادي للكعبة، والأمواج الفكرية الجديدة المعاصرة لظهور الإسلام، والأسواق والشعراء والأديان والمذاهب.

٢ – المهاجرون: تعريفهم واحداً واحداً، والتأشير إلى الانتماءات الطبقية والعائلية لكل واحد منهم، والهجرة والدور التاريخي والنفسي والفكري والاجتماعي للهجرة في تاريخ الحضارات والثقافات وسير الشخصيات الكبرى في تاريخ الإنسانية.

٣ – المدينة في العصر الجاهلي: قبائل الأوس والخزرج، العوائل اليهودية، التقاليد والعلاقات القبلية، الدور الاقتصادي والاجتماعي لليهود، علاقة اليهود بالعرب، الإنتاج الاقتصادي في المدينة، مدينة يثرب، علم اجتماع المدينة، الجغرافيا الطبيعية، الوضع الاقتصادي والإنساني في المدينة.

٤ – دخول المهاجرين: تغيّر الوجه السكاني للمدينة وانقسام الناس فيها إلى مهاجرين وأنصار. علاقة القطبين، عوامل الاختلاف والاشتراك بين القطبين.

٥ – بداية المشروع: بناء مجتمع جديد، إعلان عهد الإخاء، بديل حلف القبائل.

٦ – تدوين نظام داخلي جديد: ميثاق المدينة، الخطب الأولى والعقود والتحولات الحقوقية الأولى.

٧ – المسجد: بيت القائد، مقر الحكم السياسي والعسكري، مركز ديني ومعنوي، مركز علمي وأكاديمية دراسة وبحث علمي، برلمان شعبي حرّ، هايدبارك عام، بيت ومنزل للمقاتلين الفدائيين والمشرّدين والمسافرين والمهاجرين المتوحّدين والغرباء، مجلس شورى ومكان اتخاذ قرارات سياسية وعسكرية كبرى، وبيت الناس، وركن عبادة واعتكاف وارتياض، ومعبد إلهي.

مجموعة تاريخ الإسلام

يولي القرآن أهمية استثنائية للتاريخ. لو فحصنا موضوعات القرآن من هذه الزاوية لوجدنا في الوهلة الأولى أن التاريخ يشكل أكبر أجزاء القرآن. فضلاً عن ذلك يعبّر القرآن عن التاريخ والتفكر والتحقيق والبحث في ماضي الشعوب والأقوام والقوى والأحداث التاريخية والاستنتاج منها بلهجة تأكيدية حاسمة جداً، ويأمر أتباعه بذلك، بل إنه يتحدث عن ذلك بتشديد أكبر حتى من «الأمر» أي على شكل استفهام وكأنه يريد أن يقول إنه من العجيب أن لا تسعوا وتمشوا في الأرض لتروا مصير الذين عاشوا من قبلكم وكانوا أشد قوة وبأساً.[1]

هذا القيد «سيروا في الأرض» «ثم انظروا» يدل في جميع الآيات التي تدعو لدراسة التاريخ على حقيقة علمية كبرى هي أن القرآن يدعو من أجل البحث في التاريخ ومعرفته إلى المشاهدة العينية والدراسة المباشرة للواقع الخارجي والحسّي، وليس إلى التفكر العقلي والمنطقي والذهني والقياسي والكليات الأرسطية، أو ما درج عليه كثير من المؤرخين في عصرنا وهو تصفّح الكتب والبحث في آثار القدماء وكتبهم والاعتماد على المنقولات أو المعقولات التي أنتجها «أساتذة الصنعة»، والغرق في المصادر والمراجع، وحبس النفس في زوايا المكتبات والخلوات العلمية.

---

(١) أَفَلَم يسيروا في الارضِ فَينظُروا كيفَ كانَ عاقبةُ الذّينَ مِن قَبلِهِم، كانوا اكثَرَ مِنهُم واشَّدَ قُوَةً ، قد خلت من قبلكم سنن، فسيروا في الارض... تكرر هذا الأمر في القرآن بهذه اللهجة والتأكيد وبتعابير متفاوتة أربع عشرة مرة.

فضلاً عن ذلك فإن القضية البالغة الأهمية هي أن القرآن شدّد في كل مكان على مبدأ فحواه أن ننظر للتاريخ كوسيلة لخدمة الإنسان المعاصر ولإيضاح وشرح الحاضر ومعرفة قوانين (سنن) التاريخ وتطور المجتمعات وولادة القوى وموتها، القوى التي تُظهِر نفسَها وسطوتها المتجبّرة على الناس وكأنها أبدية.

في الحقبة المعاصرة، وخصوصاً في القرن التاسع عشر، تغير التاريخ فجأة بعد ما كان في الغالب معرفة وسرداً للأحداث ولسير الشخصيات والقوى الحاكمة، وحاول أن يكون علماً وليس مجرد مجموعة من المعلومات.. علماً يدرس مسارَ تطور المجتمعات الإنسانية وتحولاتها طبقاً لقوانين علمية ثابتة ومحددة، وأن يجعل موضوعه الأساسي كيفية تكوين النوع البشري على مرّ الزمن وفي غمرة الثورات والتحولات. وبهذا الوجه الجديد وقف التاريخ على رأس قائمة كل العلوم الإنسانية، واكتسب بالتأكيد صلات وطيدة بالفلسفة والآداب والثقافة والعلوم وعلم الاجتماع وعلم النفس والاقتصاد وحتى الجغرافيا وعلم الآثار، وبكلمة ثانية: ضمّ كل هذه العلوم والمعارف تحت جناحيه إلى درجة أنهم عندما سألوا إمرسون ما التاريخ؟ أجابهم: «وما ليس بتاريخ؟»

تاريخ الإسلام الذي عملت فيه كثير من الشعوب والأعراق طوال أربعة عشر قرناً من الزمان بروح وإيمان متين مشترك على خلق ثقافة وعلوم وآثار فنية كبيرة وحوادث باهرة وأفكار ومشاعر، وتربية وتخريج عبقريات وشخصيات ونظم بديعة، لهو أكبر مختبر للتجارب البشرية ودراسة قضايا

علم الاجتماع والعلاقة بين الدين والحضارة، وأهم حلقة وصل بين العالمين القديم والجديد. بالإضافة إلى ذلك فإن الدراسة العلمية لتاريخ الإسلام هي السبيل الوحيد المتاح للتوصّل إلى الينبوع الأول لمدرسة الإسلام، فالتاريخ هو القادر على أن يكشف لإنسان هذا العصر ما هي العناصر التي اختلطت بالإسلام طوال المراحل والأطوار والتحولات والصدامات التاريخية، وما هي الظروف التي رافقت تغيرات روح الإسلام واتجاهه إلى أن وصل إلى ما هو عليه الآن.

في ضوء مثل هذه الرؤية والهدف تعمد مجموعة التاريخ إلى تدوين برنامج عملها بمساعدة كل الباحثين والمحققين في حقل تاريخ الإسلام.

١ – قيمة التاريخ وتأكيد القرآن والإسلام على النظرة التاريخية.

٢ – بداية كتابة التاريخ، ومدارس ومذاهب كتابة التاريخ، والمؤرخين الإسلاميين الكبار، وترجمة وتعريف ونقد المصادر والوثائق التاريخية، والمصادر غير الإسلامية لتاريخ الإسلام.

٣ – العالم على أعتاب البعثة: إيران، الروم، اليهود، المسيحية، المذاهب الزرادشتية، المانوية، المزدكية، الفلسفة اليونانية، المدرسة الإسكندرانية، الرهبانية، الآداب، الأخلاق، التصوف، العلوم، النظم الاجتماعية، اقتصاد الأنظمة السياسية، التناقضات الطبقية والقومية والعرقية لدى العرب الجاهليين، البناء الاجتماعي، الثقافة، الحضارة، و....

٤ – الخلفاء الراشدون:

أبو بكر: تحليل حادثة السقيفة اجتماعياً وطبقياً وعقيدياً وسياسياً، تحليل شخصية أبي بكر ونظامه السياسي، تحويل الإسلام إلى قوّة عسكرية مهاجمة على مستوى عالمي، بداية الفتوح، نقد أبي بكر سياسياً وأخلاقياً واجتماعياً.

عمر: اختيار عمر، سيرة عمر وشخصيته، دوره السياسي والعسكري والفتوح والنظام السياسي في زمانه، المنظمات الجديدة ونقاط الضعف والقوّة في أدائه، والصحابة.

عثمان: شورى عمر، التحليل السياسي والطبقي لشورى عمر، العلاقات بين الأعضاء في الشورى، العصابة المناوئة لعليّ، سيرته وشخصيته وارتباطه الطبقي وعائلته، نظام عثمان وإحياء الأرستقراطية ومظاهر الملكية واستقواء بني أمية وظهور طبقة جديدة وتشديد الخلاف الطبقي والبدع السياسية والاجتماعية والدينية، وتحوّل الصحابة القدماء إلى أشراف (أرستقراطيين) جدد. ضحايا تغيير النظام الإسلامي: أبو ذر، عبد الله بن مسعود، أول ثورة شعبية.

عليّ: سيرته وشخصيته المتعددة الأبعاد، الجذور الطبقية للجماعة الوفية له والجبهة المعارضة له، ثلاث فترات مهمة في حياة عليّ: ١ — ثلاثة وعشرون عاماً من الجدّ والاجتهاد والجهاد والبطولة من أجل التوحيد. ٢ — خمسة وعشرون عاماً من الصبر والصمت من أجل الوحدة. ٣ — خمسة أعوام من الكفاح من أجل العدالة.

٥ – **بنو أمية**: الجذور العرقية والأحقاد العائلية، بنو أمية في الإسلام، هيمنة بني أمية، الوجه السياسي والعرقي والديني والاجتماعي والاقتصادي والثقافي لنظام بني أمية، الآثار الطبقية والعقيدية والفكرية والأخلاقية للنظام الأموي على المجتمع الإسلامي، الإسلام في ذلك العصر، الفتوح، النظام الاقتصادي الاجتماعي، البدع والتغييرات، دور الشيعة في مقارعة النظام الحاكم، تكريس العدالة، صيانة فكر الإسلام وأهدافه وروحه، الإيرانيون، الأقليات الدينية والعرقية والعلاقة بالمسيحية والامبراطورية الرومانية، تأثير الحضارة الرومانية على الإسلام، الثورات السياسية والفكرية والعسكرية.

٦ – إيران، الأندلس، ومصر.

٧ – نهضة «الرضا»، ثورة الإيرانيين، توجّهات الإمام السادس، دور بني العباس، انتصار الروح الإيرانية في الإسلام، دور الإيرانيين في السياسة والآداب والفلسفة والفنون والعلوم والمعارف الإسلامية، الشيعة في عصر بني العباس، النهضات السياسية والقومية والدينية والطائفية والفلسفية والعلمية، التفرقة السياسية في الإسلام، دخول العنصر التركي إلى الساحة.

٨ – الحروب الصليبية، أسبابها، آثارها الثقافية والحضارية، تأثير الإسلام في تغيّر الغرب، ظهور عصر النهضة وسقوط الإقطاع ونهاية القرون الوسطى وانتصار العلم وحرية الفكر في أوربا والحضارة الجديدة.

٩ – بداية الانحطاط، كيفية الانحطاط، الأسباب السياسية والخارجية والداخلية والفكرية والاقتصادية والدينية والعرقية والاجتماعية لانحطاط المجتمعات الإسلامية.

١٠ – نهضة الصحوة وعصر النهضة الجديدة، المقاومة والكفاح الإسلامي ضد الاستعمار الغربي، دور الإسلام في النهضات التحررية الجديدة في آسيا وأفريقيا من السيد جمال إلى مُحَمَّد إقبال.

مجموعة الثقافة والعلوم الإسلامية

١ – فلسفة العلم، مفهوم العلم في القرآن وفي فكر قادة الإسلام الأوائل، مقارنته بمفهوم العلم في الثقافات المختلفة (الصين، الهند، إيران، أثينا، القرون الوسطى، والعصر الحديث).

٢ – تشديد الإسلام على العلم ودوره في النهضة العلمية الكبرى خلال العصر الذهبي للإسلام.

٣ – ظهور العلوم في تاريخ الإسلام، الحقول العلمية الأولى، التاريخ (السيرة والمغازي)، الحديث، التفسير، الأدب واللغة، الفقه، الكلام، الفلسفة، التصوف، الجغرافيا، الاقتصاد، الطب، النجوم، الرياضيات، الكيمياء، و... .

٤ – دراسة القيم العلمية والحيّة لـ «العلوم الدقيقة» (العلوم الرياضية والطبيعية) الإسلامية، ودور العلماء المسلمين في وضع أو تكميل كل واحد من هذه الحقول العلمية، وما تركوه إرثاً لأوربا المعاصرة.

٥ – حصّة الشيعة والإيرانيين في الثقافة والعلوم الدينية وغير الدينية في الإسلام.

٦ – البحث والتحقيق الدقيق في الفلسفة الإسلامية، بواكير الفكر الفلسفي، تكامله، المدارس الفلسفية، المفكرون الكبار، القيمة العالمية لنظريات الفلاسفة المسلمين ومواهب الشيعة في المعارف الدقيقة وخصوصاً الفلاسفة الكبار بعد ابن رشد ومعظمهم من الإيرانيين وقد بقوا مغمورين في العالم.

٧ – البحث العلمي في التيار الفكري للتصوّف والعرفان الإسلامي، وتاريخ ظهور وتطور المدارس المتنوعة، والحقول الإسلامية وغير الإسلامية في العرفان والتصوّف. الدور الاجتماعي والسياسي للتصوّف، الآثار الإيجابية والسلبية للتصوّف في الأفكار والمعتقدات والآداب والفنون والحياة الاجتماعية.

٨ – دراسة الفنون الإسلامية من عمارة وموسيقى ورسم وتذهيب وغير ذلك. القيم الحيّة للفن الإسلامي.

٩ – المدرسة الشيعية والتيار الفكري المستقل مقابل تياري الفلسفة والتصوف.

١٠ – دراسة المنابت والينابيع الأولى للفلسفة والعلوم في الإسلام واليونان وإيران والهند والصين ومصر واليهودية والمسيحية والزرادشتية والمانوية والمزدكية والبوذية والهندوسية والطاوية.

١١ – محاولة نشر كتب علمية توثيقية بلغة فارسية عصرية حول الفلسفة والفلاسفة والتصوف والفقه والمدارس الفقهية والفن والأدب والعلوم وكبار عباقرة الإسلام بحيث تكون ممكنة القراءة والفهم من قبل القراء والمتعلمين العصريين في بلادنا، وتعرّفهم على الكنوز والمفاخر الفكرية والثقافية في الإسلام.

مجموعة العلوم الاجتماعية

الإسلام دين اجتماعي ومدني. الشيء المهم جداً من وجهة نظر علم الاجتماع هو أن رسول الإسلام أرسى بيديه أساس مجتمع جديد، ثم شيّد مجتمعاً كبيراً مكوّناً من شعوب متحضّرة وأعراق مختلفة في مجتمعات من مستويات متباينة ونظم وأديان متنوعة. ثم إن الميول الشديدة للروح الإسلامية نحو السكن في المدن والتجارة والتطلع العلمي والهجرة وخصوصاً النزعة العالمية والرؤية الكونية فوق الوطنية وفوق القومية والنظرة التوحيدية للمسلمين أدّت إلى جانب كل الإمكانيات والظروف الملائمة التي توفرت إلى أن يكون الإسلام عاملاً قوياً في نقل سريع للمجتمعات البدوية والتقليدية بنظم زراعية ورعوية إلى مرحلة أكثر تقدماً هي المرحلة البرجوازية والنظام المديني وتنمية وتكامل المؤسسات والأجهزة الاجتماعية المتقدمة، وإنشاء أعظم الحضارات وأكثرها تقدمية في آسيا وأفريقيا وشطر من أوربا.

١ — دراسة الفلسفة السياسية والنُظُم الحكومية في الإسلام خلال الأحقاب التاريخية المختلفة.

٢ — المؤسسات الاجتماعية والسياسية في المجتمعات الإسلامية، الخلافة، الدواوين، القضاء، الحسبة، الجيش، بيت المال، الضرائب.

٣ — المؤسسات المدينية.

٤ — مِلْكية الوقف، المفتوح عنوة، الممتلكات، الإقطاعات و... .

٥ – التجارة والمنتجات المدينية والصناعية، السوق، المال.

٦ – الطبقات والمجاميع الاجتماعية والاقتصادية، السادة، القضاة والفقهاء، أصحاب الحرف والمهن.

٧ – نظام الإنتاج والجغرافيات الاقتصادية، تبديل البنية التحتية للإنتاج الزراعي إلى بنية تحتية للإنتاج المديني.

مجموعة البلدان الإسلامية

اشتبكت القوة الإسلامية العالمية منذ بداية ظهورها وبأشكال مختلفة مع العالم المسيحي وخصوصاً إمبراطورية الروم الشرقية في معارك دينية وسياسية وعسكرية واقتصادية. وبعد أن محا الإسلامُ الوجود المسيحي من جنوب البحر الأبيض المتوسط، وجعل القسطنطينية «أسلامبول»، وقذف بالكنيسة إلى الجهة الأخرى من الأبيض المتوسط، شنّ الغرب الذي أضيفت مطامعه الاقتصادية الجديدة في الشرق إلى أحقاده الدينية والتاريخية حرباً واسعة متواصلة ضد العالم الإسلامي. نشبت هذه الحروب في الجبهة العسكرية على شكل حروب صليبية طويلة، وفي الجبهة السياسية على شكل علاقات خفية مع المغول وتحريضهم لطعن الإسلام في ظهره، ولم تنته أبداً.

ومع أن نيران النفاق والتفرقة والتجزئة الدينية والمذهبية والعرقية والسياسية كانت تشتعل في داخل الإسلام، إلّا أنه بقي إلى مطلع القرن التاسع عشر سداً مقاوماً منيعاً بوجه هجمات الناهبين الغربيين، بل إنه كاد يخنق في بعض الفترات حنجرة الغرب إلى حدّ الموت، وحاصر بسيطرته على الأبيض المتوسط فيننا عدة مرات.

وأخيراً استطاع الاستعمار الواعي والاستشراق والعلماء الجدد أن ينسفوا من الداخل هذه القوّة الخطيرة المزاحمة لهم، ويقطعوا هذا الجسد الاجتماعي والثقافي الكبير الذي كانت له روح واحدة وفكر واحد وتاريخ واحد وإيمان واحد وحياة واحدة وحركة واحدة، إلى قطع مبضعة بمؤوس

العصبيات القومية والتفرقة الطائفية والحيل السياسية الشديدة البراعة والمهارة، وبعد ذلك ابتلع كل قطعة منها بسهولة. وهكذا تباعدت البلدان الإسلامية عن بعضها وهي إلى جوار بعضها، وفصلت بينهم حدود العداء والأحقاد، ونسيت اللغة المشتركة واندثرت الثقافة المشتركة، وزال التفاهم والتعارف والقرابة والأواصر الروحية والعقيدية التي تلهم القوة والاستقلال والاعتماد على الذات، وأصبح كل بلد إسلامي أجنبياً على البلدان الإسلامية الأخرى، وصديقاً قريباً للغرب مستسلماً لمنتجاته السياسية والاقتصادية والثقافية، ومنبهراً به مهزوماً نفسياً أمامه. وهكذا أضحى المستنيرون والمتعلمون والخريجون في البلدان الإسلامية يعرفون الكتّاب الغربيين العاديين وشعراء الغرب المغمورين والأحداث اليومية في أوربا وأمريكا بكل دقة، ولا يعلمون شيئاً عن أكبر النهضات الفكرية والاجتماعية في المجتمعات الإسلامية الأخرى، ولا عن الأفكار والمعتقدات والشخصيات الفكرية التقدمية والنظم الاجتماعية والثقافية والمؤسسات والمطبوعات والكتاب والشعراء والمصلحين والآثار العلمية والأدبية والعقيدية الكبرى، وكيفية حياة الشعوب المسلمة المجاورة وحتى مصائرها، وفي بعض الأحيان تراهم لم يسمعوا حتى باسم أحد البلدان الإسلامية، وإذا سمعوا به فلا يعلمون أنه بلد مسلم.

تعرّفُ شعبنا وخصوصاً المستنيرين والمتعلمين والخريجين على كل واحد من البلدان الإسلامية وتاريخها وجغرافياها وشعوبها وعقائدها وتقاليدها وخصوصياتها الدينية ونظامها السياسي ونهضاتها الفكرية والاجتماعية

ومفكريها وكتابها وعلمائها وآثارها القيمة العقيدية والعلمية والأدبية وآثارها الفنية والتاريخية ومؤسساتها الإسلامية والعلمية ونشاطاتها الجارية في هذه المجالات، خدمةٌ في طريق العودة الثقافية إلى الذات واستعادة روح الاستقلال الفكري والمعنوي لهذا الجيل والكفاح ضد التغريب والاستعمار الأخلاقي والفكري والثقافي وتقليد القيم الأوربية، وإحياءٌ للتفاهم والقرابة وتجديدٌ لتلك الأواصر والعرى التي انفصمت بحيل العدوّ المشترك وأخاديعه، ونشرٌ للبصيرة والعلوم الإسلامية وتعزيزٌ للمجتمعات الإسلامية المبضّعة وتقويتها فكرياً وروحياً واجتماعياً حيال الهجمات السلطوية معنوياً وأخلاقياً واجتماعياً للقوى الثقافية والاقتصادية في العالم المسيحي والرأسمالي المعاصر.

تحاول هذه المجموعة وفقاً لخطة عمل تنظمها وبمساعدة باحثين ومترجمين ذوي خبرة ومعرفة بهذه المجالات تدوين كتاب لكل واحد من هذه البلدان الإسلامية (الهند، باكستان، أفغانستان، تركية، العراق، العربية السعودية، مصر، لبنان، الأردن، فلسطين، الجزائر، ليبيا، تونس، المغرب، موريتانيا، السودان، تشاد، تنزانيا، السنغال، نيجيريا، أوزبكستان، قرغيزستان، تركمنستان، طاجيكستان، كازاخستان، الصومال، مالي، غينيا، ساحل العاج، الصين الغربية، سوماطرا، أندونيسيا، غينيا الجديدة (الشرق الأقصى)، ماليزيا، الحبشة، الغابون، جمهورية أفريقيا المركزية، الكاميرون، ولتا العليا، بلدان الخليج الفارسي، داهومس، توغو) وتعريف ملامحه الحقيقية لأبناء شعبنا.

الأقليات الإسلامية

تسعى هذه المجموعة في ضوء ضرورة التعرّف على المجتمعات الإسلامية تاريخياً وجغرافياً واجتماعياً وفكرياً وثقافياً وعن طريق تأسيس مكتب المعلومات والعلاقات الإسلامية إلى:

١ — معرفة وإعداد إحصائيات ومعلومات كافية عن جميع المؤسسات والاتحادات ومراكز البحث والجامعات والمدارس الإسلامية العليا في العالم اليوم.

٢ — دراسة وكسب معلومات دقيقة عن كافة جامعات العالم التي تخصّص جانباً من نشاطاتها البحثية والتعليمية للإسلام.

٣ — إعداد نصوص المحاضرات والمؤتمرات والندوات العلمية المهمّة التي تقام في أي مكان من العالم حول إحدى القضايا ذات الصلة بالدين الإسلامي أو تاريخ الإسلام أو حضارته أو ثقافته أو فنونه أو أحد المجتمعات الإسلامية.

٤ — جمع آخر الإحصائيات الدقيقة حول مسلمي العالم والشعوب والأقليات والجماعات المهاجرة ومعلومات حول وضع حياتهم ومشكلاتهم ونشاطاتهم الإسلامية والفكرية.

٥ — إعداد لائحة شاملة لكل الخبراء بالإسلام وعلماء الدراسات الإسلامية في العصر الحاضر وآثارهم ونشاطاتهم العلمية والبحثية ودراسة قيمة أعمالهم وأساليب تفكيرهم وشخصياتهم العلمية وخدمات كل واحد منهم.

٦ – معرفة دقيقة وشاملة لكل العلماء والباحثين والمفكرين والكتّاب والشخصيات الدينية والعلمية البارزة في الزمن الحاضر من مختلف البلدان الإسلامية وإعداد آثارهم ومعلومات عن بحوثهم ونوعية نشاطاتهم العلمية والإسلامية المستقبلية.

٧ – دعوة الكتّاب والمفكرين والعلماء المبرّزين والباحثين الكبار في المجتمعات الإسلامية لإلقاء محاضرات علمية والمشاركة في مؤتمرات وندوات إسلامية والتواصل الفكري والتبادل العلمي والبحثي بين الحوزات العلمية والمفكرين والباحثين الإسلاميين.

٨ – مساعدة وتوجيه الطلبة الجامعيين والباحثين والعلماء الذين يزورون إيران كجولات تعرّف على المجتمع الإسلامي في إيران أو البحث في المجالات العلمية الإسلامية ودراسة أو إعداد أطروحات دكتوراه حول القضايا الإسلامية في إيران، أو بالعكس مساعدة مَن يتوجّهون من إيران إلى البلدان الإسلامية الأخرى.

٩ – إعداد منح بحثية ودراسية في حقول الدراسات الإسلامية لإيفاد الطلبة الجامعيين والباحثين النابهين الموهوبين.

١٠ – تأسيس جائزة عالمية كبرى ذات طابع علمي وفكري وبحثي باسم «وسام عليّ» تمنح بإشراف هيئة خاصة من كبار الشخصيات الإسلامية لمن ينجز أفضل كتاب في العالم حول شخصية الإمام عليّ أو مدرسته أو حول «المدرسة، والوحدة،

والعدالة» وهي الفصول الثلاثة الأهم في حياة الإمام عليّ والمبادئ المثالية الأسمى لديه. تمنح هذه الجائزة سنوياً للفائز في مراسم كبيرة حافلة تقام في إيران، ويجري فيها تكريم شخصية الكاتب الفائز ونشر نص كتابه مع ترجمة فارسية وربما عربية.

مجموعة الأدب والفن

الفنّ تجلّ لروح الإنسان الخلاقة المبدعة. وللفن قرابته القديمة مع الدين، وقد كان لهما على مرّ التاريخ البشري في كل الأزمنة وفي كل الحضارات والثقافات والأديان وفي المراحل البدائية أو المتقدمة من حياة المجتمعات أواصرهما الدائمية الوطيدة جداً، ذلك أن للفن ذاتاً عرفانية وجوهراً عاطفياً دينياً. واليوم أيضاً حيث ابتعد الفن عن الدين، متى ما تجاوز مراحل الابتذال والتبسّط وارتقى إلى الذرى والقمم فإنه بمقتضى فطرته سوف يتجلى تجليات عرفانية ودينية، ومثل هذه التجليات تستشعر في الوقت الحاضر في الفنون الحديثة والتيارات الفنية الجديدة في العالم، وكذلك في التجليات التي لا تطاق والمدهشة من «الفن المقيَّد» الحزبي أو الحكومي في العالم الشيوعي الرسمي، حيث يجب على كل فنان أن يبقى محدوداً في إطار الأيديولوجيا الحاكمة، فيبدع «فناً مقيداً» باسم «الفن الملتزم»، وأحد هذه القيود هي أن يكون فنّه مناهضاً للدين.

حاولت الأرستقراطية والحكومات والطبقات المرفهة التي تفكر دوماً بالتسلية والترفيه واللذة وعبادة اللذة وملأ فراغات حياتها المرفهة الخاوية، والغفلة الذهنية، وإيجاد مشاعر منحرفة واحتياجات كاذبة وشلّ الروح والإرادة والقضاء على وعي الناس، حاولت فصل الفن عن الدين، ليتحول الفن بدل أن يبعث على الإيمان والحراك إلى عامل غفلة للذهن وشلّ لطاقات الكتل الشعبية وإشباع لحاجات مصطنعة زائفة مرضية تعاني منها الأرستقراطية القديمة والجديدة، ولكي يفقد الدين أقوى وأمضى وسائل

بيانه وتأثيره، وبالنتيجة لكي يكون الفن عبثياً[1] والدينُ أخرسَ، ويعود الفن عديم الإيمان والهدف، ويبدو الدين عديم الجاذبية والجمال، والفنُّ فقيراً والدينُ مشلولاً، والفنُّ وسخاً والدين قبيحاً.

نرى أن التجليات والمظاهر الدينية والتزيينات والشعارات والعلامات والآثار والوسائل والمظاهر والمراسم والبيانات واللغة الدينية قد فقدت جاذبيتها وجمالياتها وتأثيراتها على المشاعر والأحاسيس، وتحوّلت إلى ما يشبه الجبّة التي يلبسونها بالمقلوب.[2] البرامج الدينية والألحان والأناشيد الدينية والأشعار والنثر الديني والجماليات والتجميلات والأشكال والملامح والحركات والأعراف والتقاليد والعادات الدينية والخطابات والمحاضرات الدينية، وحتى الأدوات والأشياء الخاصة للأفراد والتجمعات والمراسم الدينية، والشخصيات الدينية عموماً تتجلى في الأنظار بشكل غير جذاب

---

(١) ليس من المصادفة أن يطرح في الوقت الحاضر شعار أبله هو «الفن للفن»! بل ويكون «الفن الفارغ والعبثي والخالي من الجدوى والمعنى» (Absurde) وبشكل رسمي مدرسة كبيرة جادة!»

(٢) «لبس الإسلام لبسَ الفرو مقلوباً» كلمة جميلة وعميقة لعليّ الكبير الذي يتكلم بعمق وجمال ويعرف الإسلام معرفة جيدة ويعرف كذلك الزمان. وهنا أيضاً يتكلم عن روح الإسلام وهدفه.. الإسلام الذي انقلب رأساً على عقب، وأيضاً عن تجلياته وجاذبياته الجميلة المحبّبة، فالفرو هو الثوب الوحيد الذي يكون وجهه وقفاه مظهرين للجمال والقبح. يجمّلون وجهه ويملؤونه بالزينة والنقوش أكثر من أي ملبس آخر، بينما يبقى قفاه ليس مجرد بطانة بسيطة بل صوفاً قبيحاً كريهاً، ويخوّفون به الأطفال كتخويفهم بالعفاريت!

وغير لافت، ولا يمكن أن تطاق إلّا من قبل المتدينين أنفسهم، فهم يرونها ويحترمونها لحرمة العقيدة والإيمان والحقيقة السامية للدين أو عظمة وجلالة قدر الشخصيات والوقائع أو الواقعيات الدينية.

استمعوا إلى برامج الإذاعة، وشاهدوا برامج التلفاز في الآونة الأخيرة. ما إن يُخصّص برنامجٌ للدين حتى يسقط الجمال والجاذبية، ويجب على المستمعين والمشاهدين أن يطيقوا هذه البرامج من أجل الثواب الأخروي فقط، وينبغي عليهم من باب «أفضل الأعمال أحمزها» (أي أصعبها وأشدها) أن يتحملوه ويتجرعوه فيما يشبه الارتياض، حتى يعود عليهم تحمل الشدائد والآلام هذا بتكفير آثامهم.

لقد جرى تبرير هذا المرض والانحراف بمهارة إلى درجة أن المشاعر العامة باتت تقرن بين الجمال والكفر وبين القبح والدين، بحيث حتى لو عرضوا ظاهرة ثابتة بشكل قبيح فلن تكون منسجمة مع الدين وحسب، بل وتعد ظاهرة دينية حصرياً و تجسيداً لأعز الواقعيات وأعظم الوقائع وأقدس الشخصيات الإلهية، وهذه الظاهرة نفسها إذا كانت تتمتع بالجمال والفن تجلت بشكل كافر لاديني، وكان تلفظ اسمها في الأجواء الدينية عملاً وقحاً جريئاً بعيداً عن المصلحة! المناجاة مثلاً إذا كانت بقبح وابتذال منقطع النظير وألحانٍ وإنشاد منفِّر للقلوب مزعج للأصحاب والرفاق فيمكنها أن تجسد كربلاء بكل خصوصياتها وشخصياتها وأحداثها. وحتى شخص الإمام وشخص زينب وحتى حرم الإمام وحريم قداسة وعصمة أهل بيت الرسول إذا ظهروا على المسرح وبدون أية حجب وغموض واستعارات

وكنايات، وبمعيّة الطبول والمزامير والأبواق وكل الآلات الموسيقية التي لا يشترط فيها إلّا أن تكون سيئة الصوت وقديمة وتَعزِف بطريقة رديئة، وإذا كان الممثلون الذين يمثلون أدوار أمّ الإمام وأخته وابنته وزوجته عمالاً بسطاء أو أصحاب أشكال قبيحة مضحكة أو شبيهين بالشقاوات والفتوة، عندئذ ستكون المراسم «شبيهة» بكربلاء، والممثلون شبيهين بالحسين وزينب وسكينة وشهربانو وأبي الفضل وعليّ الأكبر و... وستكون مجموعة هذه الحركات المبتذلة والألاعيب الكريهة والوجوه القبيحة «شبيهة بثورة عاشوراء»، ولا إشكال في ذلك أبداً بل فيه كل الثواب! أمّا كان هذا الشبيه — لا سمح الله — شبيهاً قدراً ما وقادراً على تجسيد تلك الشخصيات والحقائق والواقعيات إلى حدّ ما بفضل مواهب الفن فلن يمكن أبداً عرض ثورة الإمام الحسين ورسالة زينب ووقوع أهل بيته في الأسر، وليس هذا وحسب بل لن يمكن عرض حتى موت أبي ذر وحيداً في صحراء الربذة. بل يجب أن لا نفكر في مثل هذا ولا نناقشه! فهو بدعة وانحراف وكفر وفساد!

وهكذا تعوَّد ديننا رويداً رويداً على القبح بعد أن مثّل أجمل وأبرز تجليات الفن في التاريخ، وحتى المسجد الذي هو بيت الدين ومعبد الله كان بيت فنون وجمال، ومكاناً يفصح فيه الفنانون المسلمون عن أرقى مواهبهم المعجزة في الإبداع الفني، المواهب المنقّاة المصفّاة بحماس الإيمان ونيران الحبّ وجوهر الإخلاص، ويغرقون بيت الحاجة إلى الله وعبادته بجاذبيات الفن الملهِمة الحالمة العجائبية وإدهاش الجمال الغيبي الحافل

بالأسرار بحيث ما إن يدخل المصلّي إلى المسجد حتى ينسى كلّ ما في خارج المسجد ويفارق رتابة الحياة اليومية وتحلّق روحه إلى الأعالي في الأجواء الرمزية الماتعة للمسجد، وتبقى مشاعره وأحاسيسه تسبّح في ذلك الفضاء الزلال فيعينه كلّ ذلك الجمال على ازدهار العشق الإلهي وعروج القلب إلى الذرى، وتأخذ إشارات الفن الغيبية ولغة الجمال غير المادية الإنسانَ من قبح دنيا الأنانية الدنية إلى حيث الله وهو الجمال المطلق.[1]

بمقدار ما يبغض الإسلام الفنون والآداب[2] العبثية المنحرفة، أو الفن للفن، والفن الحرّ، أي الفن اللاأبالي، ويقرّعها ويهاجمها بقساوة ولا يعطيها مجالاً للتنفس، نراه يدعم ويمدح بكل جدّ وقوة الفن المسؤول أو الذي يسمّى اليوم الفن الملتزم. ومع أن القرآن يسمّي الشعراء كذابين وأناساً لا يعملون بما يقولون، ويتبعهم الغاوون الضالون المنحرفون الذين لا هدف لهم ولا أصالة، ومع أن الرسول ذاته يذكر الشعر بأنكر التعابير ويقول «لئن يمتلئ جوف رجل قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً» لكنه يمدح حساناً بن ثابت وزهيراً (شاعرين أنشدا الشعرَ في خدمة العقيدة) بشكل يُذكِّر بالشخصيات المعروفة برعاية الفنون والشعراء في التاريخ.

---

(١) اللّهُمَ إني أسألُك مِن بَهائِك بأبهاه وكل بهائك بهيّ، اللّهُمَ إني أسألُك بِبهائِك كلّه، اللّهُمَ إني أسألُك مِن جمالِك بِأَجمَلِهِ وكلُ جمالِك جميلٌ، اللّهُمَ إني أسألُك بجمالِك كلّه.

(٢) يقرر سارتر فرقاً أساسياً جوهرياً بين الفن والأدب. لكن المقام الآن ليس مقام الخوض في هذه القضية، فنستخدم الفن هنا بمفهومه العام الذي يستوعب الأدب أيضاً.

وقف حسان بن ثابت الصحابي الشاعر بوجه شعراء قريش والقبائل الجاهلية ممن كانوا يستهزئون في أشعارهم بالإسلام ومبادئ المدرسة والثورة الجديدة، ويدافعون عن مفاخرهم العرقية والقبلية ويروّجون لأساطيرهم الجاهلية وتقاليدهم الأرستقراطية ومآثر آبائهم وأجدادهم، ويروون قصص غرامياتهم وملذاتهم ونزواتهم الفردية والأنانية اللااجتماعية واللاإنسانية، وقف بوجههم واستلّ الشعر سيفاً، وواكب المجاهدين المقاتلين في هجماتهم ضد صفوف الأعداء، ونال مديحاً ومباركة من شخص الرسول لم ينلها أيّ مجاهد شهيد. فإذا كان الشعر الجاهلي قيحاً قذراً والشعراء من خدّام الأرستقراطية والشرك رواد الضلال والغواية وفساد الأفكار والأحاسيس وتسميم دماء المجتمع، فلن يقدر على إزاحة هذا القيح سيفُ سعد بن أبي وقاص بل شعر حسان بن ثابت هذا الفنان الواعي المؤمن المسؤول، شعره هو القادر على قتل الشعر الجاهلي وتوعية المسحورين الضالين المرضى الذين أغواهم ذلك الشعر، وإعادتهم إلى جادة الصواب، فإذا كان الفنّ عامل إشاعة فساد والمسرحيات والأفلام أدوات ضلال وفساد وانحراف والرسم والموسيقى والشعر لغة جنس وإباحة وعتمة وتنويم، ويجب مقارعته دفاعاً عن الإيمان والفكر والصحوة، فالسبيل الوحيد هو إيجاد نهضة فنية حقيقية بناءة في مقابل ذلك، وتوظيف الفن لخدمة الإيمان وتوعية الناس، ودحر الفن اللاأبالي والأدب العديم الأدب بالفنون والآداب الإيمانية الملتزمة وإقصاؤها عن المجتمع. هكذا يمكن نزع سلاح القوى اللاإنسانية والمعادية للشعوب والمناهضة للأخلاق والمناوئة للإسلام المتسلحة بسلاح الفن

والأدب من أجل إفساد الناس وفصم العرى المعنوية وهدم البنى التحتية العقيدية والأصالات الإنسانية وشلّ الإرادات والمشاعر المسؤولة وتخدير الأعصاب في المجتمع المريض والجيل المهموم، وتسليح الإيمان والدين بالفن لتحقيق رسالتهما.

الإسلام باعتباره مدرسة وأيضاً بوصفه حضارة وثقافة يثمّن القيمة الفنية والأدبية والطاقات الكامنة في الجمال. إله الإسلام مظهر الجمال والبهاء المطلق، وهو يحبّ الجمال. جماليات الطبيعة والإنسان تتكرر في لغة القرآن دوماً وتمتدح إلى درجة أن الله يقسم بها أحياناً. القرآن نفسه باعتباره نص الوحي أي كلام الله، مظهر لجمال البيان وإعجاز الكلام. لكل رسول معجزة، وقد كانت معجزة موسى تبديله العصا إلى أفعى ويده البيضاء المشرقة، ومعجزة عيسى شفاءه الأعمى وإحياءه الميت، ومعجزة رسول الإسلام كانت معجزة أدبية. الفصاحة والبلاغة أساس يعتمد عليه القرآن، وقد كانت الأهمية الخارقة لفنون الألفاظ وجمال الموسيقى وجزالة النسيج الكلامي وقدرة الإعجاز البلاغي والتصوير والتجسيد والإيحاء، كانت كلها بادية جلية في أسلوب كلامه.

والقرآن من حيث الموسيقى نصّ ملحن ونثر يشبه النشيد وكأنما كتب من أجل الترنّم به أو إنشاده. بل إنه يأمر بصراحة أن يقرأ بـ «ترتيل».[1] تدل بعض الدراسات التي أجراها خبراء موسيقى غربيون على أن القرآن

(١) «وَرَتِّلِ القرآنَ تَرتيلاً» (سورة المزمل، الآية ٤)

سمفونية دقيقة وعلمية تم تدوينها بوعي وقصد وكانت نتيجتها ألحاناً فنية معجزة. والدليل على ذلك هو قراءُ القرآن الذين كان لهم اعتبارهم وتميّزهم الكبير منذ عصر الرسول،[1] وكذلك قراءة القرآن التي جاءت على مرّ التاريخ وإلى يومنا هذا بألحان مختلفة كحقل فني كبير في المجتمعات المسلمة.

كان بلال حبشياً ذا لهجة أجنبية ولم يكن صحيح القراءة، بل لم يكن يلفظ «الشين» بصورة صحيحة، فكان يلفظه كأبناء وطنه الزنوج اليوم سيناً، لكنه كان ذا حنجرة ذهبية. ورغم وجود كل أولئك الصحابة الفصحاء الحسني القراءة المتمكنين حتى من التجويد حول الرسول، إلّا أن الرسول اختاره لساناً رسمياً لدينه وصلاته، وأبقاه في هذا الموقع منذ بداية

(١) كان شخص الرسول يقرأ القرآن بصوت عال جميل مؤثر للغاية، حتى أن كثيراً من غير المسلمين أيضاً كانوا يجتمعون حوله ليستمتعوا بالإصغاء له. وكان الإمام الرابع في توحّده وصمته المحزن بعد مذبحة كربلاء ومذبحة المدينة التي حبست الأنفاس في الصدور، يقرأ القرآن في المسجد أو في بيته (القريب من مسجد الرسول) بصوت جميل يجتذب إليه القلوب بلا إرادة، وكانت كلمات القرآن الجميلة الباعثة على الحياة تخترق أعماق القلوب وتغور في طبقات الروح وتستقر في جوهر النفوس والفطرة الإنسانية بمثل هذه الألحان. يقال إن السقائين الذين يحملون قرب الماء الثقيلة على أكتافهم عندما كانوا يمرون من هناك لم يكن بوسعهم أن يمروا سريعاً بل كانوا يقفون وهم متعبون يتصببون عرقاً تحت أثقالهم ساعات غارقين في جاذبيات عميقة من العاطفة والشوق الجميل والإلهام يصغون بكل كيانهم لهذا اللحن الفردوسي والنشيد الغيبي الذي يجدونه في صوت الله ناسين أنفسهم تحت هذه الشآبيب من أمطار الوحي الجميلة الترابيم.

أمره إلى نهاية حياته، وأوكل الأذان وهو شعار المجتمع الإسلامي والدين الإسلامي والصلاة الإسلامية لحنجرة هذا الأجنبي الحبشي، بل وصبر حتى على تلفظ الأذان بصورة خاطئة من أجل جمال صوته! أي أن تسمع خطأ أفضل من أن تسمع قبيحاً! كان يقول: أسهد أن لا إله إلا الله! فيهتف القديسون: هذا خطأ! لكن الله الذي يحبّ الجمال أكثر من الألفاظ كان يسمع «سينه» «شيناً».(١)

عليٌّ الكبير، وهو القرآن الناطق والإسلام المجسّم، جمال كلامه وفنون نثره نموذج مثالي للإعجاز الذي يندّ عن الكلمات. غالبية نصوص أدعية الشيعة تشبه الأناشيد، والموسيقى والنثر الشاعري فيها يصبّ في خدمة بيان حقائق كبيرة والإيحاء بمشاعر سامية.

في الحضارة والثقافة الإسلاميتين الغنيتين — خلافاً لما أشاعه بعض الغربيين ولما يخاله كثير من العوام المتعصبين غير الواعين عندنا ممن لا اطلاع لهم على أصل الدين ولا على التاريخ الديني ولا على الثقافة الدينية، فيسمّون أذواقهم وإيحاءات بيئاتهم وموروثاتهم وتقاليدهم إسلاماً — كان هناك مجال واسع لازدهار المواهب ونموها ونضج العبقريات الفنية وتجلّي الروح الجمالية (استتيك)، ولهذا توجد الآن في الحضارة الإسلامية كنوز جد ثمينة وغنية من الفنون والآداب والجماليات يجب أن تكتشف وتستخرج

(١) «سين بلال عند الله شين» (رسول الإسلام).

من قبل ورثتها، فالبشرية بحاجة لها من ناحية والشرق بحاجة لها أيضاً من ناحية أخرى، وخصوصاً نحن الذين يمثل الإسلام عقيدتنا وإيماننا وتاريخنا وثقافتنا أي شخصيتنا المعنوية وهويتنا الثقافية.

من جهة ثانية، للفن في العالم اليوم قدرته ونفوذه المذهل. إنه يبني ويهدم في الوقت ذاته. إنه حارس القيم الإنسانية العليا والمذكر بها وبالمطاليب الأسمى والفضائل المعنوية التي تسحق في الهجمات العاتية القاسية التي يشنها الاقتصاد والصناعة والروح النفعية والرؤية العلموية والمنطق الجاف العقلي الحسابي البرجوازي والعلم المصلحي السلطوي، وهو كذلك رفيق وعضيد هؤلاء المهاجمين وأقوى عوامل الخداع والإغفال والانحراف والتخدير وإشغال المستنيرين وتلذذ الأقوياء وشلّ الشباب وتنويم الناس و...

كما كان للدين في الماضي كلا الدورين المتناقضين في المجتمعات الدينية، حيث كان عامل يقظة وهداية وتنوير وبناء وحامي أصالات وقيم إنسانية متعالية ومعنوية، وكان في الوقت ذاته سبب تخدير وجمود وإغفال وإلهاء للناس وانحراف مشاعر وأفكار عن الواقع العيني والآفات والمشكلات والأوجاع والنواقص، ففي الوقت الحاضر حيث لم يعد للدين ذلك الدور الحاسم المؤثر في الأنظمة الحاكمة، باتت الفنون والآداب هي التي تلعب هذين الدورين المتعارضين، ولهذا نرى الفن في المجتمعات الخاضعة للاستعمار أضحى نوعاً من الاستحمار الجديد.

من ناحية، تسير الفنون والآداب حالياً بقوة منقطعة النظير نحو التطور والنمو والتنوع، وتمارس أعمق الأدوار في التحولات الفكرية والإعلامية وخلق التحركات وتغيير الأشكال والثقافات والأذواق والمشاعر والعقائد والعلاقات الجماعية، وتبديل القيم الأخلاقية والميول المعنوية والاجتماعية والدينية، وباتت أنظمة الحكم والقوى والنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وكذلك الأيديولوجيات توظف الآداب والفنون بكل أنواعها وبأكثر أشكالها تطوراً لصالحها، حتى أضحت قوة الفنون والجمال السحرية، الممتزجة راهناً بقوة الصناعة والعلوم العظيمة مما ضاعف من قدراتها وتأثيراتها آلاف المرات، أمضى سلاح في الكفاح، ولغة البيان والإعلام العميقة تنتزع كل أقاليم الروح والفكر من أيدي الأديان والثقافات والموروثات.

الفن اليوم كارثة مروِّعة في المجتمعات الإسلامية، لا سيما تلك المجتمعات التي لا هدف لها ولم يمنح فيها تدفقُ الإيمان والأمل والقوة الشعبَ وخصوصاً الشباب تصميماً وقراراً والتزاماً وحركة. أناموا كتلَ العوام باسم الدين وشغلوهم بتقاليد عديمة الروح وتكرار مكررات غير مثمرة ومشاعر وميول وأحقاد وعواطف قديمة وهمية، وشغلوا المستنير المتخرّج بهدهدة الفن الحديث وخرافات جديدة وأوهام وذهنيات بعيدة عن الواقع ومشاعر زائفة منحرفة وحاجات وأوجاع وميول مصطنعة كاذبة وحركات مضحكة مستوردة، وجاذبيات وتجاذبات أجنبية مفروضة كصيحات

وتقليعات وموضات، وألاعيب بكيت[1] والعبثية و«الفن من أجل الفن»، وأصالة الشكل والتقنية الفنية ومسرح العبثية والوجودية العامية المثيرة للغثيان، والعدمية الاستعراضية، وتمظهرات الحداثة المفرطة، أو الميول التقليدية المقززة من قبيل لعبة التعزية والتشابيه والدوران بالنعوش والنقالة والمقاهي والأمسيات الشعرية وفنون الكتل الشعبية! وبالتالي تصبّ الأمواج الجديدة كلها في مستنقع القديم، ولا محصلة لها كلها سوى أن تلهي رأسك بشيء أو أشياء لكي لا تفهم برأسكَ شيئاً. إذا كنتَ متديناً مؤمناً مقدساً اشغل دماغك بتلك الأشياء، وإن كنتَ مستنيراً حداثياً من أنصار رجل اليوم ومرأة اليوم فاشغله بهذه الأشياء!

وهكذا يثير الفن اليوم الحماس لدى عموم الكتل الشعبية بأرصدة الجنس (سكسواليتيه) القذر الإباحي الفاحش، فيشغل رأسها بما في أسافلها، ويشغل المستنير بمشاغل ذهنية مريضة وحركات واستعراضات لفظية شبه فلسفية وتمظهرات حداثوية انحرافية خاوية غريبة على الدنيا وما فيها، ويصرفه عن الناس والزمان وعن مسؤولياته ومصير مجتمعه، ويجرّه إلى نوع من الرهبنة والتصوف الكاذب الخالي من المعنوية، ويحبسه في عزلة لاوعيه وأخيلته وعالمه الداخلي الكاذب الذي افتعلوه له.

---

(١) نسبة إلى صاموئيل بكيت. المترجم.

من جانب، حاولت القوى التي احتكرت الفن كله لصالحها واستخدمته في سبيل الضياع الفكري والذهني والأخلاقي وإسقاط كل القيم الإنسانية أولاً أن تظهر هذا الواجب، واجب التفريغ والإخلاء والقذارة، على أنه رسالة الفن الحقيقية الطبيعية، وثانياً أن لا يسمحوا للقوة المنافسة المقاومة، وهي هنا القوة الدينية، بالتسلّح بهذا السلاح وخلق عقبات وموانع أمام نفوذه وفتوحه السريعة. لذلك نرى المتدينين يفزعون من اسم الفن، ويدينونه ويلعنونه بالمطلق، ويكتفون في محاربته بتكفيره وتحريمه، فأيّ نجاح هذا الذي يتصورون أنهم يحققونه عندما يتيقنون من أن الإيمان والإسلام الذي راح أتباعه ومجتمعه وثقافته وعقائده الآن ضحيةً سهلةً للفن اللاأبالي والجنسي والمنحرف واللاإنساني، لن يستخدم أبداً هذا السلاح العصري القاطع الحاسم، ولن يتجهّز بقوة الفن المؤثرة الفاعلة، بل سيبقى يعتمد اللغة والبيان والوسائل الإعلامية والتحقيقية والتقلينية القديمة التي باتت اليوم عديمة التأثير أو قليلة التأثير جداً ومدياتها محدودة ضيقة للغاية، وبالتالي سوف يتراجع وينهزم من ساحة الزمان والحياة والفكر والمشاعر الإنسانية المعاصرة مقابل الهجمات الواسعة القوية التي تشنها تلك القوى. لذلك:

١ – من أجل الكفاح ضد الفن اللاأبالي المفسد المنحرف الذي يُسقِط كلّ القيم ويفصِم كل العرى ويلوّث المجتمع ويسمِّم الدماء ويهاجم الإسلام بشكل مباشر وغير مباشر.

٢ – من أجل تسلّح الإسلام بوصفه مدرسة ورسالة ودعوة ونهضة فكرية وعقيدية، وكذلك باعتباره تاريخاً وثقافة إنسانية عظيمة ننتمي لها، من أجل تسلّحه بلغة ووسائل بيان هذا العصر، وهي الوسائل الفنية، ولكي يكون لكلامه الجاذبية والتأثير والتحريض المناسب، ولكي يخرج عن الإطار الضيّق للجيل القديم ونصوص العوام والجماعات التقليدية الوفية لدين الأجداد، ولكي يفتح الزمنَ ويُطرح في العالم المعاصر بين جيل الشباب والمستنيرين والدراسين.

٣ – ولكي تكتشف الموروثات الأدبية والكنوز الفنية العظيمة في الدين والحضارة والثقافة والتاريخ الإسلامي، وتتاح للجيل الصاعد فيعرفها ويعيها، فتعرف بذلك واحدة أخرى من التجليات الثمينة للإسلام والعبقريات الإسلامية، ولكي تحصل عن هذا الطريق معرفة جديدة وتواصل آخر مع الروح والمواهب الإسلامية المتنوعة في المجتمع البشري،

من أجل كل ذلك تتشكل مجموعة الآداب والفنون لتبدأ أعمالها من أجل تحقيق هذه الأهداف بمعونة كل الفنانين وخبراء الفن الواعين الملتزمين ممن لهم همّ مشترك وإيمان مشترك، وبفضل تعبئة الطاقات الإنسانية والمادية لكل الذين يشعرون بضرورة وفورية مثل هذه النهضة للدين ومجتمعنا الديني.

سيكون برنامج عمل المجموعة في الوقت الحاضر تشكيل فرق بحثية في المجالات التالية:

الآداب والفنون الإسلامية

أ — الآداب الإسلامية.

١ — الأدب الملتزم الحر في الرؤية الإسلامية.

٢ — الجانب الأدبي والفني في القرآن.

٣ — القيمة الأدبية لنهج البلاغة.

٤ — المدارس الأدبية.

٥ — أساليب الكتابة والكتّاب الكبار.

٦ — شعر العقيدة والشعب وشعراؤهما.

٧ — الأدوار السياسية — الاجتماعية والفكرية للشعر في تاريخ الإسلام.

٨ — مدارس الشعر وأساليبه وأنواعه.

٩ — الفنون الأدبية (المعاني والبيان والبديع و...).

١٠ — الشعر والأدب الملتزم والإباحي والبلاطي.

١١ — الشعر والأدب الديني الخاص.

١٢ — الشعر والأدب الثوري.

١٣ — الأدب الشيعي.

١٤ — الغدير وعاشوراء و... في الأدب.

ب – الفن الإسلامي

١ – العمارة الإسلامية.

٢ – الفنون الجميلة.

٣ – الموسيقى الدينية وغير الدينية.

٤ – الرسم والمنمنمات.

٥ – الفنون المسرحية.

٦ – بناء المدن.

٧ – الأزياء والمكياج والتجميل والموضات.

٨ – الخط والخطاطون.

٩ – فن التجليد والتذهيب والتصحيف والقطع و...

١٠ – الفنون السوقية.

١١ – فنون العوام.

١٢ – الفن الديني الخاص.

الآداب والفنون الحديثة

أ – الآداب والشعر الحديث.

١ – الكتابة الحديثة والأساليب والكتّاب الكبار المعاصرون في إيران.

٢ – الشعر الحديث والشعراء الحداثيون في اللغة الفارسية.

٣ — التحولات والتيارات والأحداث الأدبية والكتّاب المعاصرون البارزون في العالم الإسلامي (البلدان العربية، البلدان الإسلامية غير العربية، المجتمعات الإسلامية في أفريقيا السوداء، الأقليات المسلمة، و...).

٤ — الشعر العربي المعاصر (الكلاسيكي والحديث).

٥ — الأدب والشعر الإسلامي.

٦ — الأدب والشعر الاجتماعي والمناهض للاستعمار.

٧ — فلسطين في الأدب والشعر المعاصر في العالم الإسلامي.

٨ — الشعراء والكتّاب الكبار في المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

٩ — تعريف الآثار المميزة التي أنتجتها الشعوب الإسلامية.

ب — الفن الحديث

١ — الفنون والمدارس والنزعات الفنية والفنانون الإيرانيون الكبار.

٢ — الفنون والمدارس والتيارات الفنية والفنانون الكبار في العالم الإسلامي المعاصر.

٣ — المدارس الفنية الكبرى وفلسفة الفن وأنواعه.

٤ — الفن الحديث والوجوه البارزة في الفن المعاصر.

٥ — العلاقة بين الفن والمجتمع، والفن والدين، وفلسفة الفن ورسالته.

النشاطات الفنية

١ – مجموعة الأفلام والسينما.

أ – اختيار وإعداد وعرض أفلام وثائقية وتاريخية وعلمية وفكرية وأخلاقية.

ب – الدوبلاج.

ج – الإخراج.

د – التمثيل.

هـ – التصوير السينمائي.

٢ – مجموعة المسرح.

٣ – مجموعة ترجمة السيناريوهات والمسرحيات الفكرية والتاريخية والإسلامية وتصنيفها.

٤ – مجموعة الرسم.

٥ – معرض الصور والآثار الفنية.

٦ – صفوف تعليم فن المسرح.

٧ – محاضرات علمية وبحثية حول قضايا الفن.

البرامج البحثية

من أجل أن يستطيع المتطوعون لإجراء بحوث ودراسات علمية إسلامية أن يختاروا موضوعاتهم للبحث العلمي، فيما يلي تفصيل لحقول متنوعة من البحث العلمي وحدود ومفهوم البحث العلمي، وهدف وقيمة كل واحد منها:

١ — الدراسات الإسلامية.

٢ — الدراسات الشيعية.

٣ — النهضات والشخصيات الثورية.

٤ — المدارس الفكرية والمفكرون الكبار.

٥ — أئمة الشيعة (بيئة كل واحد منهم وشخصيته).

٦ — الصحابة (معرفة تحليلية لشخصية كل واحد منهم ودوره الاجتماعي).

٧ — الاستعمار والنهضات المناوئة للاستعمار في المجتمعات الإسلامية.

٨ — النهضات والبدع الجديدة.

٩ — الفنون الإسلامية.

١٠ — التحقيق وتدوين المصادر والوثائق والآثار (ويشمل):

أ — المصادر الإسلامية الأولى.

ب – البحوث والتحقيقات العلمية الجديدة.

ج – ما نشر وينشر بلغات مختلفة حول الإسلام.

١١ – تنظيم مكتبة وإعداد بطاقات حسب الموضوع والمؤلف والعنوان وتأسيس مكتبة بحثية.

١٢ – المجتمعات الإسلامية (معرفة كل البلدان الإسلامية والشعوب المسلمة، والأقليات المسلمة في العالم).

١٣ – الترجمة (عن العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والأوردية والروسية، وترجمة النصوص الإسلامية القيمة والبحوث المهمة للعلماء الإيرانيين إلى لغات أخرى).

على هذا الأساس تمّ تدوين مجالات التحقيق والبحث العلمي في كل واحد من هذه الحقول، ومن أجل تنظيم عملية البحث العلمي، ولكي يختار المتطوّعون مواضيع بحوثهم في كل واحد من هذه المجالات حسب استعدادهم ومواهبم وقدراتهم العلمية وإمكانياتهم ورغباتهم، كما يلي:

الدراسات الإسلامية

١ – الاقتصاد والمِلْكية.

٢ – الخلافة ونظام الحكم.

٣ – الأخلاق.

٤ – حقوق المرأة وشخصيتها ودورها.

٥ – التعليم والتربية الإسلامية (الفلسفة، والمسوغات، والرؤية الكونية، والنظام، والمنهج، والتاريخ).

٦ – العقائد:

أ – العناصر الأولية التي تشكل الركائز الأساسية للمفاهيم العقائدية الأصلية في الإسلام (على أساس القرآن).

ب – الاتجاه العقيدي للقرآن.

٧ – فلسفة خلقة آدم وعلم الإنسان (الأومانية الإسلامية).

٨ – علم الاجتماع الإسلامي وعلم اجتماع المسلمين.

٩ – تكوين العلوم الأولى في الحضارة الإسلامية.

١٠ – التصنيف الموضوعي لأحاديث الرسول والأئمة.

١١ – الدراسات الإسلامية وعلماؤها في العالم:

أ – الدراسات الإسلامية في القرون الوسطى (المسيحية والتعصّب).

ب – الدراسات الإسلامية بعد عصر النهضة (السياسة والاستعمار).

ج – الدراسات الإسلامية المعاصر (موجة جديدة من الإنصاف والعلم).

١٢ – الميتافيزيقا (ماوراء الطبيعة) في اللغة والرؤية الإسلامية الأولى (عن لسان القرآن، والرسول، وعليّ والأئمة والصحابة) ومقارنتها باللغة والرؤية المعاصرة.

١٣ – الواقعية الإسلامية في:

أ – الفلسفة.

ب – علم الإنسان.

ج – الأخلاق.

د – الحقوق.

١٤ – أسباب تقدم الإسلام في العصر القديم والعصر الحاضر.

١٥ – العالم قبل البعثة (العرب، إيران، الروم، اليونان، الهند، الصين، و...).

١٦ – الروايات الموضوعة.

١٧ – تحريفات تاريخية في الإسلام.

١٨ – البدع.

١٩ – قاموس المصطلحات العقيدية والعلمية في الإسلام.

٢٠ – الفرق والطوائف.

٢١ – العناصر الدخيلة في العقائد والتقاليد الدينية للمسلمين.

٢٢ – المدارس الفقهية:

١ — الفقه الجعفري.

٢ — الفقه الحنفي.

٣ — الفقه الشافعي.

٤ — الفقه المالكي.

٥ — الفقه الحنبلي.

الدراسات الشيعية

١ — قضية الإمامة.

٢ — الولاية (في الفرق المختلفة):

أ — عند الشيعة.

ب — عند الغلاة.

ج — في التصوف.

د — في الأديان الهندوسية والبوذية.

٣ — العدل.

٤ — المهدي

أ — المهدي في الأديان المختلفة (المسيحية، الزرداشتية، الهندوسية، البوذية، اليهودية، و...).

ب — المهدي في علم الاجتماع (موعود آخر الزمان — المسيانيسم).

ج – المهدي في فلسفة التاريخ (آخر الزمان).

د – قضية المهدي في الإسلام: لدى التسنن والتشيع (الإمامية، الإسماعيلية، الكيسانية، و...).

هـ – مبدأ الانتظار.

و – الرجعة وعلامات الظهور (علم الاجتماع والنقد الاجتماعي والروح والفكر الثوري في علامات الظهور ومواصفات آخر الزمان).

٥ – الشفاعة.

٦ – منازل ومراحل ما بعد الموت (الآخرة) ومقارنتها بكل الآثار الفلسفية اليونانية وغيرها إلى القرن السابع عشر:

أ – الرؤية الكونية الأخروية.

ب – التبصّر بالآخرة.

ج – التبصّر بالجنة.

٧ – الوصاية.

٨ – دراسة المنهج البحثي الخاص لدى الشيعة بالمقارنة إلى:

أ – الإخباريين.

ب – المعتزلة.

ج – الصوفية.

د – الفلاسفة.

٩ — الاجتهاد.

١٠ — نصوص الدعاء والزيارات الخاصة بالشيعة.

١١ — مدرسة الإمام الصادق (من حيث النهضة الثقافية والمعارف الشيعية).

١٢ — التقية.

١٣ — الغَيبة.

١٤ — النيابة.

١٥ — العدل.

١٦ — العصمة.

١٧ — الفرق الشيعية المختلفة.

أ — الإمامية.

ب — الزيدية.

ج — الإسماعيلية.

هـ - الغلاة وأهل الحق ...

التاريخ السياسي والاجتماعي

١ — حادثة السقيفة (التشخيص المنهجي على شكل جمع كل أدلة الموافقين والمعارضين من سنّة وشيعة ودراستها).

٢ – أبو بكر وسنتا حكمه، شخصيته ونظام حكمه.

٣ – عمر، شخصيته ونظام حكمه.

٤ – شورى عمر (تحليلها اجتماعياً وسياسياً وعقيدياً).

٥ – عثمان، شخصيته ونظام حكمه.

٦ – الثورة ضد عثمان (دراسة عوامل الثورة وعناصرها وخلفياتها).

٧ – بنو أمية وبنو هاشم (دراسة التعارض بينهما من النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعائلية و... منذ البداية).

٨ – بداية استقواء بني أمية في النظام الإسلامي (دراسة العوامل المضادة لثورة الإسلام).

٩ – شخصية أبي سفيان ودوره الاجتماعي.

١٠ – معاوية (دراسة دوره الأساسي).

١١ – من معاوية إلى عمر بن عبد العزيز وزمانه.

١٢ – من عمر بن عبد العزيز إلى نهاية العصر الأموي.

١٣ – نهضة خراسان وأبي مسلم وإبراهيم الإمام.

١٤ – التحليل السياسي والاجتماعي والطبقي والفكري والإنساني لحركات المقاومة الإيرانية العسكرية والسياسية والثقافية ضد الخلافة.

١٥ – فلسفة التفوق العرقي في عصر بني أمية.

١٦ — دراسة أسباب سقوط دولة بني أمية.

١٧ — إيحاء التقاليد الدينية والقومية والاجتماعية والسياسية والطبقية الرومانية والإيرانية في العالم الإسلامي خلال العصرين الأموي والعباسي.

١٨ — الحروب الصليبية.

١٩ — المغول.

٢٠ — تجزئة السلطة.

٢١ — بداية الانحطاط الإسلامي وأسبابه.

٢٢ — تاريخ الإسلام المعاصر.

٢٣ — الحداثة الغربية في المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

الثورات الإسلامية

١ — أبو ذر الغفاري.

٢ — حجر بن عدي.

٣ — ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

٤ — ثورة المختار والإيرانيين الذين رافقوه.

٥ — التوابون (مثل سليمان بن صرد الخزاعي).

٦ — عبد الله بن الزبير.

٧ — العلويون.

٨ – ثورة زيد ويحيى بن زيد.

٩ – ثورة الزنج.

١٠ – السادة الحسنيون.

١١ – الشيعة الإمامية.

١٢ – الثورات الإسماعيلية:

أ – دراسة ملامحها الفلسفية والعلمية والدينية.

ب – دراسة ملامحها العسكرية والسياسية.

ج – دراسة ملامحها الطبقية والريفية.

د – دراسة نظامها الحزبي المنظم الدقيق.

هـ – دراسة الجماعات المرتبطة بالإسماعيلية (القرامطة).

و – الانحطاط.

١٣ – الغلاة (التيار الشيعي المتطرف من النواحي الفكرية والسياسية ودراسة دوره الاجتماعي والسياسي).

١٤ – السربدارية (من الزاوية الشيعية وأيضاً من الزاوية الإيرانية، النهضة الشيعية للكتل الشعبية وتأسيس نظام سياسي شيعي قبل الصفوية).

عصر النهضة الإسلامي: النهضات الفكرية والثورية في القرنين الأخيرين

١ – السيد جمال، مُحَمَّد عبده، الكواكبي، السير سيد أحمد خان، حسن البنا، مُحَمَّد إقبال، و... .

٢ — النهضة السلفية.

٣ — الإخوان المسلمون.

٤ — نهضة الخلافة في الهند.

٥ — عبد القادر في الجزائر، السنوسيون في أفريقيا، جمعية علماء الإسلام في المغرب (تضم بلدان تونس والمغرب والجزائر وموريتانيا)، حزب «نجم شمال أفريقيا»، انتفاضة المسلمين المناهضة للاستعمار في الهند، جبهة التحرير الوطني الجزائرية.

البدع:

١ — الوهابية.

٢ — البابية.

٣ — البهائية.

٤ — القاديانية.

٥ — أحمد كسروي.

المدارس الفلسفية والعرفانية والدينية

١ — الفلاسفة

أ — من ابن سينا إلى ابن رشد (القرن السادس عشر، آخر مراحل تفوق الفلسفة الإسلامية على الغرب).

ب – من ابن رشد إلى الملا هادي السبزواري.

ج – المعاصرون (ابن سينا، البيروني، الغزالي، ابن رشد، الرازي، ابن خلدون، الكندي، أبو العلاء المعري، الفارابي، الحلاج، الملا صدرا، الميرداماد، الميرفندرسكي، الملا هادي السبزواري، مُحَمَّد إقبال، و...).

٢ – العرفاء:

أ – حقبة التصوف الحالي (الروحي).

ب – حقبة التصوف القالي (العلمي المدرسي): الحلاج، جنيد، مولانا (جلال الدين الرومي المولوي)، أبو سعيد أبو الخير، السلالات الصوفية، الزمان، البيئة، السير والحيوات، الأصول الفكرية للمدرسة وتحليل ومقارنة ونقد كل واحدة.

٣ – المدارس والتيارات

أ – الاعتزال (المعتزلة).

ب – الأشعرية.

ج – التصوف.

د – الحكمة.

هـ – الإخبارية.

٤ – علم الكلام.

أ – علم الكلام القديم (من الفلسفة الإسلامية).

ب – علم الكلام الجديد (من الفلسفة اليونانية).

ج – الكلام المتأخر (الرؤية المعاصرة والغربية).

تحقيق وتدوين مصادر البحث ومراجعه

١ – في العربية:

أ – الوثائق (المراجع) مثلاً جميع كتب الصحاح الستة (تاريخ الطبري، سيرة ابن هشام، أصول الكافي، الإرشاد للمفيد، التهذيب و...).

ب – البحوث والدراسات (جميع بحوث المتأخرين في مختلف القضايا الإسلامية).

٢ – في الفرنسية والإنجليزية والألمانية والروسية والإيطالية والإسبانية واللاتينية وباقي اللغات الأوربية، وفي الفارسية والتركية والأوردية والأرمنية والپشتو والكردية والسانسكريتية وباقي اللغات الشرقية.

أ – جمع كل الأعمال المنجزة في القرون الوسطى والقرون الحديثة.

ب – جمع كل الأعمال المنجزة في القرون المعاصرة والتي لا تزال مستمرة (على شكل كتب وحوليات وكتب تذكارية ومجلات وقواميس وموسوعات ورسائل دكتوراه ومحاضرات وندوات ومؤتمرات دولية ووطنية).

الفن الإسلامي

١ – معرفة الفن الإسلامي:

أ – الخلفيات الفنية والثقافية

ب – من الناحية الأيديولوجية (التسويغ الفلسفي والفكري والاجتماعي).

ج – من الناحية التقنية.

د – من الناحية الجمالية (استتيك).

هـ – من الناحية الإسلامية (الفن الخاضع لنظام الحكم، الفن الإباحي، الفن المقبول، مواقف الإسلام والمفكرين الإسلاميين السلبية والإيجابية من أنواع الفن).

٢ – فن العمارة الإسلامية.

٣ – الفنون الاستهلاكية (الصناعية).

٤ – الفنون الدينية الخاصة.

٥ – الفنون التزيينية.

٦ – الفنون المسرحية والتشكيلية.

٧ – الفنون الشعبية (الأحقاب المختلفة على مرّ التاريخ وفي مختلف المجتمعات والشعوب الإسلامية).

٨ – الفن الحديث في المجتمعات الإسلامية وصدام القيم الفنية الإسلامية والغربية.

البلدان والمجتمعات الإسلامية

١ – المجتمعات الكلاسيكية الإسلامية (المجتمعات الإسلامية الرسمية).

٢ – المجتمعات التي يسكنها المسلمون (على شكل أقلية كبيرة أو صغيرة مثل الهند ويوغسلافيا).

٣ – الأقليات المسلمة في العالم (مثل المسلمين في أفريقيا وأمريكا).

أهداف البحوث ومناهجها

١ – من الناحية الجغرافية (يراجع الأطلس الإسلامي).

٢ – من الناحية الاجتماعية:

أ – تدوين خلاصة لتاريخ كل بلد وكل مجتمع خصوصاً من حيث دخوله في الإسلام (النظرة الإجمالية السريعة).

ب – دراسة اللغة والجماعات الدينية (الأقليات الدينية) والعرقية في ذلك المجتمع.

ج – دراسة النظام الإنتاجي – الاقتصادي والطبقي في ذلك المجتمع.

د – دراسة التطورات الاجتماعية والسياسية في ذلك المجتمع على مدى عدة مراحل:

- في القرون المعاصرة (في المائة عام الأخيرة).
- في الفترة التالية للحرب العالمية الأولى.

- في الفترة التالية للحرب العالمية الثانية.
- نهضة معارضة الاستعمار.
- حقبة ما بعد الاستعمار.

هـ - دراسة النهضات الدينية – الفكرية والثقافية في بعديها المميزين:

- كل الآثار الفكرية والاجتماعية والسياسية الناتجة عن هجمات الثقافة الغربية.
- كل الحركات الناتجة عن النهضة أو الحركة الوطنية أو الدينية أو كلاهما.

و – دراسة الشخصيات الفكرية والدينية والاجتماعية البارزة في كل مجتمع وما قدمته من آثار وأعمال.

(٢)

التعليم

في قسم التعليم تمتلك حسينية إرشاد في الوقت الحاضر خمسة فروع محددة، وتأمل في الوقت نفسه بعون الله وبهمم كبار علماء الإسلام الحقيقيين وكل المستنيرين والعلماء والشعب المسلم العالي الهمّة في هذا البلد، أن يكون هذا المشروع الأولي طليعة تأسيس «جامعة إسلامية حرة» تدرس فيها الحقائق الإسلامية الباعثة على الحياة والثقافة والعلوم والعقائد والتاريخ والشخصيات الإسلامية الكبرى، ويكون للمجتمع الشيعي في إيران جامعة إسلامية متطورة على المستوى العالمي.

الحقول التعليمية الخمسة المتوافرة حالياً والتي سجّل للانضمام إلى صفوفها بشكل رسمي حوالي أربعة آلاف باحث كلهم من أصحاب الدراسات والشهادات العليا، هي:

١ – الدراسات الإسلامية

تقديم الإسلام بوصفه أيديولوجيا:

أ – التوحيد (الرؤية الكونية).

ب – فلسفة التاريخ.

ج – علم الاجتماع.

د – علم الإنسان.

هـ – الأيديولوجيا.

و – المجتمع المثالي.

ز – الإنسان المثالي.

ح – فلسفة الخلقة والإنسان والهدف منهما.

٢ – الدراسات القرآنية

أ – صفوف تعليم القرآن أو دراسات النص (بمنهجية جديدة في ثلاث دورات يستطيع الطالب الجامعي خلالها قراءة النص القرآني بصورة صحيحة ومعرفة معانيه ببساطة).

ب – تفسير النص وتحليله.

ج – التحقيق في قضايا القرآن وأبعاده المختلفة (على شكل محاضرات وتقارير بحثية ومؤتمرات وبحوث جماعية وترجمات ومشاريع بحث مميزة من قبل خبراء قرآنيين كبار).

٣ – إعداد المبلغين وتعليمهم

١ – العربية:

أ – الصرف والنحو (بمهجية تعليم اللغات العصرية).

ب – المحاورة (پراتيك، استخدام اللغة عملياً) من قبل أساتذة عرب.

ج — نصوص أدبية (نهج البلاغة، الصحيفة السجادية، و... ، وآثار الكتاب والأدباء المعاصرين العرب).

٢ — الإنجليزية:

أ — قواعد اللغة، غرامر.

ب — المحاورة (پراتيك) من قبل أساتذة إنجليزيي اللغة.

ج — النصوص الأدبية.

٣ — تدريس نص القرآن وترجمته.

٤ — تفسير نص القرآن وتحليله بمنهجية علمية.

٥ — محاضرات بحثية وندوات ومؤتمرات واجتماعات بحثية ونقدية.

٦ — الأصول العقيدية أو الأيديولوجيا التحليلية والاستدلالية الإسلامية.

٧ — معرفة تحليلية لتاريخ الإسلام الاجتماعي والسياسي.

٨ — المدارس الفلسفية الحيّة في العالم المعاصر.

٩ — العلوم الاجتماعية.

١٠ — القوانين الإسلامية المقارنة.

١١ — مصطلحات أو قاموس العقائد والعلوم الإسلامية.

١٢ — فن البيان والتدريب على الخطابة.

٤ – القسم الفني

١ – مجموعة فن الرسم.

٢ – مجموعة فن السينما والمسرح (تعليم، تدريب وعرض مسرحيات تعليمية تنويرية فكرية وتاريخية إسلامية).

٣ – صفوف تعليم المدارس الفنية.

٤ – مجموعة البحوث والدراسات الفنية.

٥ – معرض آثار الرسم والصور.

٥ – مجموعة اللغة والآداب

١ – العربية:

أ – الصرف والنحو بمنهجية عصرية لتعليم اللغات.

ب – المحاورة (پراتيك) من قبل أساتذة عرب.

ج – النصوص (نهج البلاغة، الصحيفة السجادية، و... ، آثار الكتّاب والشعراء العرب المعاصرين الكبار).

٢ – الإنجليزية:

أ – قواعد اللغة، الغرامر.

ب – المحاورة (پراتيك) من قبل أساتذة إنجليزيي اللغة.

ج – النصوص (آثار كبار الكتاب ذوي المكانة السامية من الناحية الفكرية).

(٣)

التبليغ

١ — الوعظ والخطابة.

٢ — مراسم الاحتفالات والتعازي الدينية وتعظيم الشعائر.

٣ — الأفلام والمسرحيات.

٤ — معارض رسم وصور.

٥ — الحج. تعليم فلسفة الحج وتحليل مناسك الحج، وتعريف وزيارة الآثار التاريخية في شبه الجزيرة العربية، وبرامج لتعليم تاريخ الرسول وسيرته في مكان حياته (شهر مع الرسول).

٦ — محاضرات علمية في موضوعات ومجالات شتى.

٧ — دعوة باحثين وكتّاب ومفكرين كبار من الخبراء في الدراسات الإسلامية في العالم لإلقاء محاضرات والمشاركة في مؤتمرات وندوات و... .

٨ — ندوات ومراسم تكريم وإقامة مؤتمرات إسلامية.

(٤)

المؤسسات

١ – مؤسسة مركز الإحصاء والتوثيق ومصادر البحث:

١ – إعداد كل آثار الكتّاب والباحثين الإسلاميين والأجانب بأية لغة من لغات العالم كانت.

٢ – إعداد ميكروفيلم أو استنساخ لكل النسخ الخطية الموجودة في المكتبات والمتاحف والمكتبات الخصوصية في العالم والمفيدة للعمل البحثي والدراسات الإسلامية.

٣ – إعداد مجموعة كاملة من السلايدات والصور والخرائط وكتب الدليل الخاصة بالآثار الفنية والمعمارية الإسلامية المتوفرة في العالم اليوم، وكذلك المسكوكات الإسلامية والآثار الفنية والأثرية والأشياء القديمة وأعمال الخط والتذهيب من مختلف العصور الإسلامية أو ما يتعلق منها بالإسلام.

٥ – جمع كل الرسائل والبروشورات والمقالات والصحف والمجلات الصادرة في العالم حول أحد الموضوعات المتعلقة بالإسلام بلغات إسلامية أو غير إسلامية.

٥ – تبادل وشراء والاشتراك في المجلات أو الفصليات البحثية والخبرية المعنية بالشؤون الإسلامية والصادرة عن المؤسسات العلمية والبحثية في مختلف بلدان العالم.

٦ – إعداد خرائط جغرافية مختلفة وكتب دليل وكتب تتعلق بالجغرافيا التاريخية وتاريخ وعلم إنسان وعلم اجتماع المجتمعات الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم وأوضاعها وأحوالها الاقتصادية والفكرية والأدبية والفنية والدينية.

٧ – التواصل مع مراكز التوثيق والإحصاء والمكتبات والمجامع العلمية ومراكز الاستشراق والجامعات ودور النشر والمتاحف العامة أو التخصصية في العالم لكسب المعلومات والإحصائيات أو إعداد الوثائق والآثار المتعلقة بالإسلام، وربما شراء استنساخات للأشياء والمجسمات والآثار الفنية والتاريخية النافعة في البحوث والدراسات الإسلامية.

٨ – إعداد وسائل تقنية خاصة بالبحوث والدراسات وصيانة الكتب والنسخ الخطية والميكروفيلم والسلايدات والخرائط والأختام والمسكوكات والأشياء العتيقة والبروجكترات وأجهزة تصوير المخطوطات.

٩– جمع كل أشرطة تسجيل المؤتمرات الإسلامية المهمة أو العالمية المتعلقة بالإسلام والمؤتمرات العلمية حول الإسلام والدروس المرئية

والمسموعة ومجموعة من الأفلام العلمية والتاريخية والأخلاقية والدينية والإسلامية.

١٠ – تدوين فهرس علمي منهجي لكل المصادر والكتب والدراسات والمخطوطات باللغات المختلفة حسب المواضيع والمواد لتسهيل العمل البحثي ومراجعة العلماء والكتاب والمستشرقين وخبراء الدراسات الإسلامية من إيرانيين وغير إيرانيين وطلبة جامعيين يعدون أطروحات دكتوراه في واحدة من الموضوعات الإسلامية، وكذلك المحققون والمبلغون والمعلمون والباحثون في مؤسسة إرشاد وأساتذة وطلاب مدرسة إرشاد العليا.

١١ – إعداد مجموعة كاملة للوثائق التاريخية والعلمية الشيعية، وكل الكتب والمخطوطات التي دوّنها علماء الشيعة في هذا الباب، وكل المقالات والآثار التي صدرت بلغات مختلفة حول الشيعة، وجميع الآثار والمعلومات والإحصائيات والمواد النافعة للعملية البحثية حول الدين والثقافة والتاريخ وعلوم الشيعة.

٢ – مؤسسة المكتبة الجوّالة

لم يعد الكتاب كما كان في السابق حكراً على العلماء والحكماء، بل أصبح مادة غذائية يومية وجزءاً من الاحتياجات العامة للعوائل، وكل من يعود إلى البيت – إذا كان ممن يعيشون في قرنهم هذا – معه كتاب أو مجلة إلى جانب ما معه من خبز ولحم وفاكهة ومشروبات.

لا يزال مجتمعنا يعاني من فاجعة الأمّية، والمتعلمون قلّما يشعرون بالحاجة للكتاب، وحتى الدارسون والخريجون وأصحاب الدراسات العليا من كلا الثقافتين القديمة والجديدة عندنا غالباً ما يبقون حبيسي الإطار الضيّق للنصوص المدرسية الثابتة، ويرون أنفسهم في غنى عن مطالعة «الكتب المتفرقة!»، وبالنتيجة لم يستطع الكتاب التحليق والانتشار بحرية، والخروج من سجن المكتبات الرسمية والشخصية وعالم «الخواص» الصغير إلى الأزقة والأسواق والمعامل والمزارع، والتحول إلى غطاء فكري في عموم المجتمع. وواضح أنه ما عدا هذه العوامل والأسباب الثقافية والتربوية هناك عامل الضغوط الاقتصادية الذي يجب أن نضيفه. فقلّة الدخل وازدياد الأسعار بشكل مستمر وسريع، وخصوصاً الهجمات المتصاعدة لحالات استهلاك البضائع الكمالية والجمالية بشكل تقليدي مفروض وعلى نحو التحرر من عقد التخلف والتي تترك الجميع يتخبطون تحت أنقاض حياة كاذبة، لم يترك كل ذلك مجالات للكتاب. فمثل هذا الشخص الذي راح من الناحية الاقتصادية ضحية القروض والأقساط والتسديدات، ومن الناحية النفسية يستمتع بربطة عنق حريرية أكثر من استمتاعه بكتاب فلسفي أو حتى ديوان شعر، ومن حيث الشخصية الإنسانية والفكرية أضحى أشبه بميتة بين مخالب وأنياب الحرص والطمع والاستزادة والكدّ المجهد والصخب والضجيج والشطارة والحيل والتملّق والتظاهر والرياء والحالات المحافظة والتزلّف والتقرّب والخوف والفزع والهموم التافهة القذرة، مثل هذا الشخص ليس من أهل الكتاب.

مع ذلك وعلى الرغم من كل هذه العوامل السلبية فقد فرضت حتمية الزمن الكتاب على مجتمعاتنا، لأن التنمية النسبية في التعليم المتوسط والعالي، وانتشار وسائل التواصل والإعلام وتطور ونمو الحياة المدينية، وانهيار النظام التقليدي والتكوين الطبقي الجديد (نمو البرجوازية والطبقة المتوسطة والإنتلجنسيا الجديدة)، والأزمات العقيدية والصدامات والاحتكاكات الفكرية المطردة وزيادة واتساع مديات النباهة الاجتماعية والسياسية والدينية، وطرح قضايا أيديولوجية جديدة، وتغلغل مدارس فلسفية واجتماعية في العالم المعاصر، والثورات والأزمات والنهضات الفكرية والسياسية والمناهضة للاستعمار في العالم الثالث، وكذلك انهيار الأسوار التقليدية التي كانت مغلقة أمام الرياح والعواصف الفنية والأدبية والأيديولوجية في العالم عن طريق الإذاعات والأفلام والتلفزة والمسرح والمجلات والترجمات والأسفار والاتصالات والتبادل الاقتصادي والثقافي والدراسة في الخارج وإتقان لغات أجنبية و...، جعلت كلها الكتاب والمطالعة ضرورة لا مناص منها وحاجة فورية حتمية.

القضية التي تطرح اليوم بشدة أكبر حيال المؤمنين والمتدينين — لا سيما المتدينين ذوي التواصل المباشر مع العالم المعاصر وتياراته الفكرية والعلمية والاجتماعية والثقافية — هي أولاً أنهم باتوا يشعرون بضرورة الكتاب في الحياة الفردية والعائلية وحتى الجماعية، ومن جهة ثانية صاروا يعلمون على كل حال أنه لا يمكن الحؤول دون انتشار الكتاب، وإذا لم يدخل البيت الكتابُ الصالح دخله الكتابُ الطالح، وستتغلغل الأفكار

والمعتقدات السائدة في هذا الزمن حتى إلى أخفى زوايا حياتنا الخاصة وأكثرها حرمة.

ثانياً من أجل تشخيص واختيار الكتاب الجيد لا توجد أية وسيلة أو دليل موثوق واع، خصوصاً وأن اختيار ومعرفة الكتاب الصالح في أسواق الكتب والمجالات والمطبوعات الصاخبة الحالية من الصعوبة بحيث لا يقوى عليه سوى أصحاب الخبرة والمتخصصين العلماء بالكتب. ثم إن الكتاب ليس بضاعة إذا اخترناه من دون معرفة نكون قد خسرنا خسارة مالية وجئنا ببضاعة زائفة إلى البيت بدل البضاعة الأصيلة، وبالتالي نكون قد اشترينا بضاعة لا تستهلك ويجب أن ترمى بعيداً. الكتاب طعام، وهو طعام الروح والعقل. إنه دواء، وهو دواء أوجاع وأمراض ونواقص الشعور والفكر والإنسانية. إذا كان مسموماً وزائفاً فسيكون محفوفاً بأخطار الموت أو ما هو أسوء من الموت!

في المجتمعات المتطورة هناك الكثير من الإمكانيات لاختيار الكتب الجيدة: مكتبات تقنية، ناشرون ملتزمون معروفون، مؤسسات علمية ودينية وفكرية معروفة ومشخّصة، والأهم من كل ذلك هناك مجلات وصحف وفهارس كتب وبرامج إذاعية والتلفزيونية خاصة ينقد فيها النقادُ الكتب الصادرة بدقة ووعي وبعيداً عن الصداقات والعداوات والحب والبغض الشخصي والعصبيات غير المنصفة، ويعرّفونها للقرّاء، وبذلك يعرف كل قارئ مهما كانت ميوله الدينية والسياسية والفلسفية والأدبية والعلمية ناشره وناقد المفضّل ويستطيع بمساعدتهم اختيار كتابه بسهولة وراحة بال. لكن

مثل هذه الإمكانيات لا تزال غير مطروحة أساساً في مجتمعنا للأسف، ولهذا فإن مسؤول كل عائلة يبقى يعاني بدرجات متفاوتة من تناقض أنه ينبغي عليه من ناحية أن توفير الطعام الفكري والمعنوي المناسب لعائلته، والإتيان بكتب ما لنفسه وزوجته وخصوصاً لابنه وبنته الطالبين، ولا يدري في الوقت نفسه كيف يفعل ذلك ومن أين وبأية ماركات ومعايير. ولا يمتلك أية وسيلة لمعرفة ذلك.

هنا أيضاً توجد ما عدا هذه المشكلة مشكلة أساسية أخرى هي المشكلة الاقتصادية التي تضاعف من صعوبة ابتياع الكتب التي يزداد استهلاكها بشكل تصاعدي بسبب ثقل تكاليف الحياة من جهة وغلاء الكتب من جهة ثانية. وإذا أضفنا لذلك مشكلة ارتياد المكتبات العامّة وهي ما تعانيه كثير من العوائل، فيمكن تخمين مدى حرمان أبناء شعبنا من قراءة الكتب.

وعليه، من أجل:

١ – تعويد عموم الناس على المطالعة وخصوصاً إيجاد شعور بالحاجة إلى الكتاب بوصفه في العصر الحاضر من الضروريات اليومية لكل عائلة، والذي يتولى إعالة أسرة يجب أن لا يتصور بيته كحقل دواجن لا يفكر له إلّا بالماء والحبوب، بل هو وحدة إنسانية تحتاج فيما تحتاج إلى طعام فكري، وهو المسؤول عن إعداد وتوفير هذا الطعام ويجب عليه الاهتمام لذلك.

٢ – تأمين الغذاء الفكري والعلمي والأدبي والعقيدي السليم الموثوق للعوائل.

٣ – محاربة الآثار المسمومة والكتب والمطبوعات الفاسدة بالطرق المنطقية والإنسانية وهي ترويج ونشر الأعمال الصالحة ومطالعة الكتابات البناءة التنويرية النظيفة.

٤ – تعزيز روح الإيمان والاعتماد على القيم الأخلاقية وتنمية الرؤية والمعرفة الدينية والإسلامية.

٥ – رفع مستوى الثقافة والشعور والوعي العام وتربية الشباب فكرياً وعاطفياً في مختلف مراحلهم السنية والدراسية.

٦ – رفع مستوى القدرة على المقاومة العلمية والمنطقية للمجتمع وخصوصاً لدى الشباب والمتعلمين حيال الهجوم الثقافي والفكري والأخلاقي الغربي عن طريق تقوية وإثراء أرصدتنا المعنوية والفكرية ونباهتنا الدينية والتاريخية وأصالاتنا الإنسانية.

٧ – تعويض النواقص المعنوية التي تظهر في العوائل بسبب عدم القدرة على شراء كل الكتب اللازمة فيتسبب الفقر الاقتصادي للعوائل بفقرها الفكري والمعرفي.

٨ – تعويض هذا النقص الثقافي الكبير في مجتمعنا والذي خلق للأكثرية من الناس مشكلة تشخيص الكتب الصالحة من بين الكمّ الهائل من الكتب المشكوك فيها والمجهولة والآثار المسمومة الخارجية والداخلية.

من أجل كل ذلك أعدّت حسينية إرشاد مشروع تأسيس مكتبة جوالة تتمنى أن تبدأ بتنفيذه قريباً بمساعدة كل الواعين المؤمنين الذين يشعرون بالمسؤولية حيال مصير المعتقدات والأفكار والأخلاق والدين في المجتمع، وخصوصاً لدى جيل الشاب. تهدف هذه المكتبة إلى تأمين الغذاء الفكري للعوائل، بمعنى:

أ – يكفي لكل شخص من أجل التمتع بخدمات المكتبة الجوالة أن يسجّل اسمه ولقب عائلته ويحصل على بطاقة عضوية المكتبة.

ب – يتم في كل شهر إعداد لائحة بالكتب المفيدة في كل حقل من حقول المعرفة وذلك بإشراف هيئة من العلماء والمفكرين المؤمنين المستنيرين المتخصّصين في حقول علمية وأدبية شتى، يختارونها من بين الكتب التي تصدر وتنتشر في إيران وفي حدود المستطاع في الخارج بلغات العالم الحيّة.

ثم تسلّم هذه اللائحة المصنفة بما يتناسب والفئات السنية والدراسية والموضوعية للقراء إلى حسينية إرشاد.

ج – تبادر حسينية إرشاد مرة كل شهر إلى شراء هذه الأعمال وتزوِّد بها المكتبة الجوالة.

د – من واجب المكتبة الجوّالة أن تطبع دوماً لائحة كاملة بمجموعة الأعمال والكتب المتوفرة لديها لمطالعة عموم الناس، وأن تزوِّد بها كل العوائل الأعضاء في المكتبة.

هـ - تستطيع كل عائلة أن تعيّن أيّ كتاب تريده في ضوء هذه اللائحة وتخبر به المكتبة الجوالة بأية وسيلة تتوفر لها (المراجعة المباشرة، البريد، الهاتف، أو الطلب من وحدات المكتبة الجوالة).

و – تجمع المكتبة الجوالة في كل يوم مجموع الطلبات الواصلة وتأخذ الكتب المطلوبة مباشرة وبسيارات خاصة بالمكتبة الجوالة إلى بيوت الأعضاء، وتستلم منهم الكتب السابقة والطلبات الجديدة. وهكذا يستطيع أفراد كل عائلة وببطاقة عضوية واحدة وبدفع عشرة ريالات في الشهر أن يستلموا مجاناً عند باب بيتهم أفضل الأعمال والكتب في مختلف الحقول والفروع المعرفية والمقترحة من قبل هيئة مكوَّنة من أبرز المتخصصين الواعين المتنورين.

٣ – مؤسسة المطبعة

٤ – مؤسسة دار النشر

أ – تدوين وتنظيم ونشر الدروس والمحاضرات والتقارير العلمية والبحثية.

٥ – مؤسسة التوزيع والبيع والتبادل

٦ – تسجيل واستنساخ وتكثير أشرطة المحاضرات والدروس وتقارير المؤتمرات والندوات والمحاورات العلمية والقرآنية والأشعار والأناشيد الإسلامية.

٧ – مؤسسة الصحافة والمطبوعات

أ – المجلات.

ب – الإصدارات المنوّعة.

ج – المجلات الفصلية.

د – الصحف.

٨ – مؤسسة الترجمة

أ – مجموعة اللغة العربية.

ب – مجموعة اللغة الإنجليزية.

ج – مجموعة اللغة الفرنسية.

د – مجموعة اللغة الألمانية.

٩ – مؤسسة الحج والشعائر الإسلامية